كلمة شكر و تقديـــــر

الحمد الله الذي وفقنا ليصل هذا العمل إلى هذه اللحظة، شكرا لكل أساتذة المركز الجامعي تيسمسيلت و كما نرفع من هذا المقام خالص عبارات الشكر و التقدير لمن تولى رعاية هذا العمل و أشرف عليه ... الدكتور مُحَمَّد فايد و على توجيهاته و توضيحاته الثمينة.

و في أخيـرا ندين بالشكـر إلى كل من سقط اسمه سهوا في هذا المقال و قدم لنا العون من قريب أو بعيد في هذه الرحلة العلمية الشاقة و الممتعة

زينب و يمينة

إهـــــداء

إلى من هدى البشرية وأنقذ الإنسانية

إلى المرسل هاديا وبشيرا وسراجا منيرا

إلى النبي العربي محمد صلوات الله عليه وعلى آله

ونهدي هذا العمل إلى عائلة بلعبدي كبيرها وصغيرها

إلى الذي صبر معنا طوال هذا العام الأستاذ فايد محمد

زينب و يمينة

زينب و يمينة

الفهـــــرس

مقدمة ..... أ

مدخل **03**

قضية نشأة النقد العربي القديم **13**

الفصل الأول

المحور الأوّل: قضية اللفظ والمعنى لدى(ابن قتيبة الدينوري) في تقويم النقّاد المحدثين..... **22**

المحور الثّاني: قضية القديم والمحدث لدى (عبد الله ابن المعتز) في تقويم النقاد المحدثين..... **38**

الفصل الثّاني:

المحور الأوّل: قضية الموازنة بين الشّاعرين لدى (الآمدي) في تقويم النقّاد المحدثين..... **56**

المحور الثّاني: قضية السرقات الشّعرية لدى (عبد العزيز الجرجاني) في تقويم النقاد المحدثين..... **67**

الفصل الثالث:

المحور الأوّل: قضية الوحدة العضوية للقصيدة العربية في تقويم النقاد المحدثين (ابن طباطبا).... **82**

المحور الثّاني: ثنائية الصدق والكذب في تقويم النقاد المحدثين (قدامة ابن جعفر)..... **89**

مناقشة الكاتبة لآراء النقاد المحديثين..... ..... **99**

أحمد أمين و قضايا النقّد القديم..... .....**111**

شوقي ضيف و النقّد العربي..... .....**113**

خاتم.....**116**

قائمة المصادر و المراجع .....**119**.

بطاقة فنية للكتاب:

عنوان الكتاب: النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين.

اسم المؤلف: الدكتورة بشرى عبد المجيد تاكفراست.

دار النشر: المطبعة والوراقة الوطنية زنقة أبو عبيدة –الداوديات– مراكش.

سنة الطبع: الطبعة الثانية سنة 2013م.

حجم الكتاب: من الحجم المتوسط.بمقياس 25/17 سم

عدد الصفحات: مائتان وأربع وسبعين صفحة.274 ص

البريد الإلكتروني: Bouchra.takrast gmail.com

الموقع الإلكتروني: www.bouchra.takrast.com

لون الغلاف: غلب عليه اللون البني الفاتح.

تتوسط الواجهة صورة لكتاب قديم فوقه ريشة ومحبرة على يمينه شريط بني على شكل هامش.

حجم الخط: متوسط أسود اللون.

لون الورق: أبيض ناصع.

نوع الورق: جيد.

عدد الفصول: ثلاث فصول.

مدخل

بشرى عبد المجيد تاكفراست سيرة ومسار

المؤلفة: بشرى عبد المجيد تاكفراست أستاذة النقد الأدبي بجامعة القرويين/ كلية اللغة العربية مراكش المملكة العربية المغربية، نائبة رئيس الإتحاد الوطني لنساء المغرب، ممثلة لدول شمال إفريقيا في المجلس الإداري للإتحاد الدولي للغة العربية بيروت/ لبنان. خبير قراءة وتحكيم دولي للبحوث العلمية بجامعة باجي مختار عنابة/ الجزائر، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية إربد، والجامعة الأردنية/ عمان، جامعة الخرطوم/ السودان، عضو في المكتب الإداري لجمعية إحياء جامعة ابن يوسف، عضو شرفي في العديد من جمعيات المجتمع المدني. لها مشاركات في ندوات ومؤتمرات وطنيةودولية.(المغرب،مصر،الأردن،سوريا،لبنان،تونس,الإمارات.العربية.المتحدة.دبي،.الهند، أندونيسيا، ماليزيا، فرنسا...).

حصلت في معظمها على جوائز التميز، لها أبحاث ودراسات في الأدب والنقد والتراجم والأحوال الشخصية .التحقت بهيئة التدريس بكلية اللغة العربية بمراكش التابعة لجامعة القرويين بفاس في بداية التسعينات، بدأت مسيرتها العلمية برحاب هذه الكلية بالأنشطة الأتية:

أولا: بالإشراف على طبع وتصحيح المؤلفات الأتية:

1-حوليات كلية اللغة العربية العدد الثاني سنة 1993 بالمطبعة الورّاقة الوطنية بمراكش.

2-حوليات كلية اللغة العربية العدد الثالث سنة 1994.

3-حوليات كلية اللغة العربية العدد الرابع سنة 1994 بالمطبعة والورّاقة الوطنية.

4- موشحات مغربية للأستاذ الدكتور عباس الجراري عام 1994 بمطبعة.

5-مؤلف تحت عنوان: الدكتور عباس الجراري نبذة عن حياته وأعماله للأستاذة نجاة المريني.

6-الجزء الثالث من كتاب: الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب والذي يحمل العنوان التالي:

"مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي للأستاذ الدكتور حسن جلاب سنة 1994 بالمطبعة والورّاقة الوطنية.

ثانيا: أ–مجال النشر:

مقالات: نشرت المقالات الأتية:

–الشعرية العربية الأنواع والأغراض بمجلة حوليات كلية اللغة العربية العدد السابع السنة 1996.

–قراءة في شعر مُحَمَّد المختار السوسي بمجلة حوليات كلية اللغة العربية بمراكش العدد الخامس عشر 2002.

–مسجد ابن يوسف تاريخ ومجد بمجلة جامعة ابن يوسف العدد الأول سنة 2002.

–علم من ابن يوسف الأستاذ إبراهيم الهلالي كنموذج مجلة جامعة ابن يوسف العدد الثاني سنة 2003.

–التراث النقدي بين يدي الدكتور مُحَمَّد غنيمي هلال نموذجا بمجلة جامعة ابن يوسف العدد الرابع 2004.

–الدراسات الحديثة ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني بمجلة جامعة ابن يوسف العدد الرابع 2005.

–الدكتور شوقي ضيف كما عرفته، نشر هذا المقال إثر تلقيها لخبر وفاة فضيلة الدكتور شوقي ضيف رحمه الله بجريدة الصحراء المغربية بتاريخ الأحد 3 أبريل 2005.

–الإسلامية وسؤال النقد الأدبي مجلة الدراسات اللغوية والأدبية المحكمة الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، المجلد الأول العدد الأول 2009.

-اللغة العربية والعولمة مؤامرة أم مغامرة كتاب مؤتمر اللغة العربية من المنظور الثقافي والاجتماعي المجلد الأول اتحاد المدرسين للغة العربية جامعة جاكرتا اندونيسيا، أولى النهى للنشر والطباعة 2009.

-الصورة الشعرية في الموشحات الأندلسية لسان الدين بن الخطيب نموذجا، مجلة المجمع العلمي العربي الهندي، العدد الأول المجلد التاسع والعشرون 2009/ 2010.

-المرجع الفلسفي في نقد وبلاغة الغرب الإسلامي مؤتمر المرجعيات في النقد والأدب واللغة جامعة اليرموك (مقالات محكمة) المجلد الأول تموز 2010.

-الاجتهادات النقدية المفضية لدراسة الأسلوب لدى عبد القاهر الجرجاني مجلة علامات في النقد عدد خاص بالبلاغة والأسلوب.

-جمالية التلقي في التراث النقدي البلاغي العربي كتاب مؤتمر جامعة فيلادلفيا الدولي الخامس عشر (مقالات محكمة)، 2010.

-عمق الدلالة وبلاغة الصورة في سورة يوسف حوليات كلية اللغة العربية عدد خاص بندوة البلاغة والخطاب الديني، مجلة حوليات كلية اللغة العربية، العدد السادس والعشرون سنة 2009.

-النقد المعاصر وقضايا الموروث النقدي والبلاغي مجلة جدارا للثقافة جامعة، العدد الأول سنة 2010.

-الحب، الجنس، الجريمة...وسؤال الغائب الحاضر في موسم الهجرة إلى الشمال مجلة الثقافة السودانية المحكمة جامعة الخرطوم السودان، العدد 41،أكتوبر 2010 تصدر عن وزارة الثقافة والشباب.

-قراءة في ذاكرة السرد المصري نجيب محفوظ نموذجا.المؤتمر الدولي الأول للسرديات مقالات محكمة منشورة بمجلة جامعة قناة السويس الإلكترونية/ مارس 2008.

-الاجتهادات النقدية المفضية لدراسة الأسلوب مجلة جرش للبحوث والدراسات المحكمة، المجلد العاشر العدد الأول/ كانون 2008.

ب-إصدارات نذكر منها:

-موسيقى الشعر في النقد الأدبي الحديث.

-هذا الكتاب من منشورات كلية اللغة العربية/ جامعة القرويين سنة 1999.

-في رحاب المكتبة الأدبية واللغوية القديمة صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة 2006 عن المطبعة الورّاقة الوطنية بمراكش.

-الشعراء النقاد غائية الإبداع وتجربة النقد.صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى أواخر 2011 عن المطبعة والورّاقة الوطنية بمراكش.

-حركات نقدية في كتاب اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة لعباس محمود العقاد.

-النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين.

صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة 2005 عن المطبعة والورّاقة الوطنية بمراكش، تناولت فيه كيف تعددت معالجات التراث قراءة وتأويلا ودراسة وتعاملا معه بأشكال شتى، وحاوره النقد العربي الحديث انطلاقا من حقول معرفية تراوحت بين ما هو سلفي وما هو متصف بالحياد وما هو متشبع بالثقافة الغربية، فجاء هذا الكتاب ليجيب عن السؤال التالي: كيف تمت معالجة التراث النقدي من قبل النقاد المحدثين؟.

للإجابة قسمت بحوث هذا الكتاب إلى قضايا النقد العربي القديم وكيف تمت معالجتها من قبل النقاد المحدثين وكانت هذه القضايا هي:

1-قضية نشأة النقد العربي القديم.

2-قضية اللفظ والمعنى.

3-قضية الخصومة بين القدماء المحدثين.

4-قضية الموازنة بين الشاعرين.

5-قضية السرقات الشعرية.

6-قضية الوحدة العضوية للقصيدة العربية.

7-قضية الصدق والكذب.

وختمت الكتاب بتقويم عام لكل الدراسات النقدية الحديثة التي تناولت هذه القضايا.

الكتاب عبارة عن اشتغال على مدونات نقدية اهتم أصحابها بالنقد العربي القديم وعليه فإن كتاب بشرى عبد المجيد تاكفراست (النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين) ينتمي إلى حقل نقد النقد بكل حمولاته المعرفية الرامية إلى التعريف بالمنجز النقدي ومحاولة تقويمه وتصنيفه.

إن القارئ لكتاب بشرى عبد المجيد يخرج بزاد معرفي لا بأس به ذلك لأن صاحبته تقدم للقارئ الرؤية النقدية الحديثة للمنجز النقدي العربي القديم.

الكتاب زاخر بأمهات الكتب التي أعانت بشرى في بحثها فقد اعتمدت على تسع وثلاثين مصدرا وثلاث وخمسين مرجعا وجلها باللغة العربية، مجموعها اثنان وتسعون نذكر منها:

-ابن الأثير المثل السائر، تحقيق د.أحمد الحوفي و د.بدوي طبانة الطبعة الأولى 1959، مكتبة نهضة مصر.

-ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة 1981.

-ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود مُحَمَّد شاكر، مطبعة المدني القاهرة.

-ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، المطبعة الرحمانية بمصر، الطبعة الأولى 1932.

-ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تحقيق د.طه الحاجري ود.مُحَمَّد زغلول سلام، طبعة 1956.

-ابن عبد ربه: العقد الفريد، شرح وضبط أحمد أمين أحمد الزين إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1956.

-إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، دار الثقافة بيروت لبنان.

-أحمد أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة مصر الفجالة القاهرة.

-أحمد أمين: النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة 1967، بيروت، الطبعة الثالثة 1983.

-أحمد مطلوب: اتجاهات النقد في القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى 1973، بيروت.

الفصل الأول:

تلخيص الكتاب:

- نشأة النقد العربي القديم في تقويم النقاد المحدثين
- قضية اللفظ و المعنى لدى ابن قتيبة في تقويم النقاد المحدثين
- قضية القديم و المحدث لدى عبد الله ابن المعتز في تقويم النقاد المحدثين
- قضية الموازنة بين الشاعرين لدى الأمدي في تقويم النقاد المحدثين
- قضية السرقات الشعرية لدى عبد العزيز الجرجاني في تقويم النقاد المحدثين
- قضية الوحدة العضوية للقصيدة العربية في تقويم النقاد المحدثين
- ثنائية الصدق و الكذب في تقويم النقاد المحدثين

قسمت بشرى عبد المجيد كتاب (النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين) إلى **ثلاثة** فصول، تضمن كل فصل محورين.

احتوى الكتاب على مقدمة الطبعة الثانية وتقديم للكتاب، استهلته بالحديث عن قضية نشأة النقد العربي القديم في تقويم النقاد المحدثين(طه أحمد إبراهيم، مُحَمَّد مندور، مُحَمَّد غنيمي هلال، إحسان عباس) وهي بمثابة تمهيد أولي للاشتغال على القضايا الآتية:

الفصل الأول:تضمن محورين

المحور الأول: قضية اللفظ والمعنى لدى (ابن قتيبة الدينوري) في تقويم النقاد المحدثين، عالجت فيه؛ العصر والإنسان، مسحة عن كتاب (الشعر والشعراء)، ثم الشكل والمضمون لدى " ابن قتيبة " في تقويم النقاد المحدثين وخاتمة.

المحور الثاني: قضية القديم والمحدث لدى (عبد الله ابن المعتز) في تقويم النقاد المحدثين، ضم مقدمة عن الخصومة بين القدماء والمحدثين لدى (ابن المعتز) في تقويم النقاد المحدثين، ثم العصر والإنسان، ثم مسحة عن كتاب (طبلقات الشعراء المحدثين) ثم قضية القديم والمحدث في تقويم النقاد المحدثين (طه أحمد إبراهيم، مُحَمَّد مندور، مُحَمَّد غنيمي هلال، إحسان عباس) وخاتمة.

الفصل الثاني:تضمن محورين

المحور الأول: قضية الموازنة بين الشاعرين لدى الآمدي في تقويم النقاد المحدثين، عالجت فيه تمهيد عن قضية الموازنة بين الشاعرين (البحتري و ابو تمام) لدى (الآمدي) ثم العصر والإنسان وخلاصة عن كتاب (الموازنة بين الطائيين) ثم قضية الموازنة بين الشاعرين لدى (الآمدي) في تقويم النقاد المحدثين.

المحور الثاني: قضية السرقات الشعرية لدى (عبد العزيز الجرجاني) في تقويم النقاد المحدثين، يجمع تمهيد، ثم العصر والإنسان وصورة عن كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) وأخيرا السرقات الشعرية لدى (عبد العزيز الجرجاني) في تقويم النقاد المحدثين.

الفصل الثالث:تضمن محورين

المحور الأول: قضية الوحدة العضوية للقصيدة العربية في تقويم النقاد المحدثين (ابن طباطبا) كمثال، يحتوي هذا المحور على: تقديم والعصر والإنسان، خلاصة عن كتاب (عيار الشعر) ثم الوحدة العضوية لدى (ابن طباطبا) في تقويم النقاد المحدثين.

المحور الثاني: ثنائية الصدق والكذب في تقويم النقاد المحدثين (قدامة ابن جعفر) كمثال، و عالجت فيه العناصر الأتية: تقديم، العصر والإنسان، نظرة عن كتاب (نقد الشعر)، قضية الصدق والكذب لدى (قدامة ابن جعفر) في تقويم النقاد المحدثين.

وختمت المؤلفة كتابها بخاتمة قوّمت فيها الطروحات السابقة

استهلّت الكاتبة مقدّمة كتابها بالحديث عن أداة النقد وهي السؤال الذي من خلاله يتعرف الناقد على قضايا النقد العربي ليقومها و يصدر الأحكام عليها، كما حددت ثلاث حالات للقراءة انطلاقا من كتابات النقاد المحدثين أولها قراءة ذات نزعة علمية معيارية تطبق القواعد، والثانية قراءة ذات نزعة علمية تشتغل على التعميمات كتعميمات التاريخ، والثالثة ذات نزعة فنية مكتفية بالذوق لا تلقي بالا للأحكام العامة بل تقف عند مكمن الجمال في العمل الأدبي. وكان الهدف من قراءتها هذه الكشف عن العيوب والتناقضات التي تخللت قراءة النقاد المحدثين للنقد العربي القديم.[1]

ثم ناقشت في تقديمها للكتاب صعوبة قراءة التراث العربي القديم بحكم تشعبه، فالقراءة النموذج – في رأيها – تحتاج إلى شروط ذكرت منها: المعرفة الموسوعية والتكوين المنهجي الدقيق، وهي ما اتسمت به معالجات التراث الحديثة التي تأرجحت بين مقبل ومدبر ومعجب ومنكر، وكان هذا مع بداية النهضة العربية، حيث أنّ البعض اتخذ من التراث قدوة، أمّا البعض الآخر غيّر مساره

1- ينظر بشرى عبد المجيد تاكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين،مؤسسة آفاق للدراسات والنشر، مراكش، ط2، سنة 2013، ص7.

وفقا لما أتت به الثقافة الغربية،[1] وقد حددت المؤلفة ثلاث اتجاهات قرأ كل اتجاه منها التراث برؤية خاصة:

1- اتجاه المحافظين المقلدين الذين اعتمدوا على التراث العربي القديم دون غيره، يمثل هذا الاتجاه كل من: (طه أحمد إبراهيم، مُحَمَّد زغلول سلام و أحمد أمين)

2- اتجاه المجددين الذين تأثّروا بالثقافة الغربية وحاولوا تطبيق أحدث المناهج والنظريات، يمثل هذا الاتجاه كل من: (مُحَمَّد مندور و مُحَمَّد غنيمي هلال)

3- اتجاه الحياد والإنصاف، وهم الذين حاولوا التوفيق والمزاوجة بين ما هو غربي وما هو عربي مثل هذا الاتجاه (إحسان عباس).[2]

حيث اعتمدت في تحديداتها على قول (بدوي طبانة) من كتاب (دراسات في نقد الأدب العربي) إذ يقول:"بين بعضها تشابها وتقاربا في الاتجاه وسنرى في بعضها اختلافا واضحا في المسلك، وستجد أنّ بعضها ينهل من معين عربي صرف يعود إلى تراث العرب في نقد الشعر والنثر، يبحث فيه وينقّب في زواياه ويجدّ في استخلاص القواعد والمثل التي وضعها أو احتداها نقاد الأدب العربي في ضوء الثقافة العربية، وستجد بين هؤلاء المؤلفين أيضا من استعان على تلك الدراسة بما أفاد من الاطلاع على نواحي النشاط الأدبي عند نقاد الغرب، وتجديهم في هذا المضمار، وفيهم من قارب في غير تعسف ووفق إلى الاهتداء إلى لمحات من التوافق بين نقاد العرب وغيرهم ".[3]

جمعت المؤلفة في دراستها مختلف القضايا النقدية وأهمها:

1- ينظر، بشرى عبد المجيد تاكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص9.

2- ينظر المصدر نفسه، ص10.

3- ينظر م ن،ن ص.

1- قضية نشأة النقد العربي القديم.

2- قضية اللفظ والمعنى.

3- قضية القديم والمحدث.

4- قضية الكثرة والوحدة في القصيدة العربية.

5- قضية الصدق والكذب.

6- قضية الموازنة بين شاعرين أو شعرين كتاب (الموازنة بين الطائيين) البحتري وأبو تمام.

7- قضية السرقات الأدبية.

8- خاتمة تناولت فيها تقويما عامّا لطروحات النقاد المحدثين وتصنيفهم حسب التيّار الفكري الذي أرّق كل واحد منهم.[1]

قضية نشأة النقد العربي القديم:

جاء هذا المبحث بمثابة تمهيد لفصول الكتاب، وقد تضمّن الحديث عن البداية الأولى للنقد العربي، والتي لم تسلم هي الأخرى من الاختلاف بين الدارسين، ففريق يرى أنّه يمتد إلى العصر الجاهلي انطلاقا من التلازم المفترض بين الشعر والنقد، فوجود الشعر يفرض وجود النقد، أساتذة هذا الطرح "طه أحمد إبراهيم ومُحَمَّد زغلول سلام ".[2] فريق ثان يرى أنّ المفاهيم النقدية مستمدة من الثقافة الغربية رافضا بذلك البداية الأولى للنقد، بعتبار أنّه لم يظهر إلا في القرن الرابع الهجري تمثل هذا الرأي " مُحَمَّد مندور " ابتداء من 1944 سنة تأليف كتاب (النقد المنهجي عند العرب).[3]

1- ينظر، بشرى عبد المجيد تاكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص11.
2- ينظر، المصدر نفسه، ص 13.
3- ينظر، م ن ، ص14.

فريق ثلث قرن ظهور النقد بالفلسفة، أي أنّه لم يظهر إلاّ مع ظهور الفكر الفلسفي على يد المعتزلة و الأشاعرة والمتكلمين من بين متبنّي هذا الطرح (مُحَمَّد غنيمي هلال) في مؤلفه (النقد الأدبي الحديث) الصادر سنة 1958. وخلافا لهذه الفرق يجيب فريق رابع على سؤال: متى نشأ النقد عند العرب؟ ، تمثل هذا الفريق (إحسان عباس) سنة 1971 في مؤلفه (تاريخ النقد الأدبي).

و أمام كل هذه الاختلافات تطرح بشرى عبد المجيد سؤالا جوهريا: هل النقد بوصفه ظاهرة ثقافية يظهر بظهور ظاهرة ثقافية أخرى ؟[1]

طه أحمد إبراهيم وقضية نشأة النقد العربي القديم:

يورد (طه أحمد إبراهيم) في كتابه (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) مجموعة من النتائج حول البداية الفعلية للنقد العربي القديم هي كالتالي:

1-**عروبة النقد**: أي أنه عربي النشأة والمنبت، فقد ظهر بظهور الشعر وظلت أكثر أبحاثه في الشعر فهو (عربي النشأة كالشعر ولم يتأثر بمؤثرات أجنبية، ولم يتم إلا على الذوق العربي السليم).[2]

2- نضج الشعر: فقد عرف الشعر الجاهلي بكمال شكله ومضمونه، وكل ما وصلنا من أشعار ناضج موحد الروي والقافية وتمثلت القصائد النموذج في المعلقات "إنّنا لا نعرف هذا الشعر إلاّ ناضجا كاملا، منسجم التفاعيل مؤتلف النظم، كما نقرأه في المعلقات وفي شعر عشرات الجاهليين الذين أدركوا الإسلام أو كادوا يدركونه ".[3]

1- ينظر بشرى عبد المجيد تاكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 14.
2- ينظر، المصدر نفسه، ص15.
3- م ن، ن ص

3- **تثقيف الشعر**: أو ما يعرف بتنقيح الشعر، وهي ممارسة نقدية قام بها الشعراء القدامى من خلال مراجعة أشعارهم وتعديلها من خلال تخيّر الألفاظ والمعاني الجميلة، أطلق عليهم" الأصمعي " عبيد الشعر، من أهم هؤلاء الشعراء (زهير) صاحب الحوليات

4- التلازم بين الشعر والنقد: برهن (طه أحمد إبراهيم) على وجود النقد انطلاقا من وجود الشعر، باعتبار أنّ النقد هو السبيل في إنضاج الشعر وإصلاحه، وذلك من خلال ما كان

يحدث في الأسواق والمجالس الأدبية، كما في سوق عكاظ حين كانت تضرب للنابغة قبة حمراء فيتوافد عليها الشعراء من أجل الحكم على أشعارهم، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على شاعرية (النابغة) عند معاصريه، واحتكامه إليه أكبر دليل.[1]

تذكر المصادر أنّه عيب على (النابغة) ما وقع فيه من إقواء في قوله:

أَمِنْ آلَ مِيَّةَ رَائِحٍ أو مُغْتَدِي عَجْلانَ ذا زَادٍ وغيرِ مُزَوَّدِ

زَعَمَ البَوارِحُ أنّ رِحْلتنَا غَدَا وَبِذاكَ خَبّرنَا الغُرابُ الأسْوَدُ

فقد ارتكب (النابغة) الإقواء فجعلوا يخبرونه وهو لا يفهم ما يريدون، فقالو لجارية إذا صرت إلى القافية فرتلي، فلما قالت: الغراب الأسود، ومزود، علم فنتبه فلم يعد إليه وقال:" قدمت إلى الحجاز وفي شعري بعض العاهة ورحلت عنها وأنا أشعر الناس ".[2]

أنشد (حسان بن ثابت) (للنابغة) فقال:

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى وأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

وَلَدُنَا بَنِي العَنْقَاءِ وابنُ مَحْرَقٍ فَأَكْرِمْ بِنَا خَالاً وأَكْرِمْ بِنَا إِبْنَمَا

1- ينظر بشرى عبد المجيد النقد الأدبي القديم في التقويم النقاد المحديثين ص 15،16،17.

2- رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستر من قسم الدراسات العليا العربية، اعداد عبدالله الكريم أحمد العبادي، ص3.

فقال (النابغة): أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن أنجبك.[1]

5- **إطلاق الأحكام على الشعراء:** لقد لُقّب الشبأ سماء وفقا لما تميز به شعرهم، فقد لُقِّب (النمر بن تولب) (بالكيّس) لحسن شعره، و (طفيل الغنوي) (بطفيل الخيل) لشدة وصفه إيّاها، وقد تميزت هذه الأحكام بمجموعة من المظاهر هي:

أ- التعميم في الأحكام: وهو ما تميز به النقد في بدايته خاصة في العصر الجاهلي، بمعنى إصدار أحكام مجملة على الشعراء دون تحديد أو تفصيل في الحكم.

ب- الذّوق الفطري: وهو إصدار حكم وفق ما يشعر به المتلقي تجاه ما يتلقاه، ومثال ذلك (طرفة بن العبد) عند سماع خاله (المتلمس) حين أنشد قوله المشهور:

وقَدْ أَتَنَاسَى الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِنَاجٍ عَلَيهِ الصَّيْعَرِيَّةَ مُكَدَّمُ

إذ صاح قائلا في وجه خاله: استنوق الجمل فالصيعرية سمة في الناقة لا في الجمل.

ج- الارتجال في الأحكام: وهي سمة تتعلق بالذوق الفطري، فالناقد يقوم بتذوق الشعر ويصدر حكما مرتجلا دون دراسة تفصيلية أو تحليل.[2]

اعتبرت المؤلفة رأي (طه أحمد إبراهيم) متعصبا نوعا ما، وأنّ النقد في العصر الجاهلي خالٍ من شروط النقد الصحيح وبالتالي لا يمكن القول بوجود النقد في ذلك العصر، وهو رأي (طه أحمد إبراهيم) في نهاية دراسته حين قال: " النقد الأدبي توطد واستقر في عهد الطبقات الأولى

1- ينظر، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستر من قسم الدراسات العليا العربية، اعداد عبدالله الكريم أحمد العبادي، ص5.
2- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص19،20.

من اللغويين...وعُرِفت له مقاييس وأصول، وظاهر جدا أنه ليس نقد السليقة والفطرة بل نقد المدارسة الكبيرة التي تبنى على العلم ".[1]

مُحَمَّد مندور وقضية نشأة النقد العربي القديم:

اعتمد (مُحَمَّد مندور) في قراءته للتراث العربي عموما والنقد الأدبي خصوصا على المنهج التاريخي، فهو لا يعترف بالنقد في العصر الجاهلي والذي اعتمد الذوق، وهو يركز – مُحَمَّد مندور – على كل ما هو ممنهج وكان ذلك مع (الآمدي) و(الجرجاني) أو ما يعرف بالنقد المنهجي "لم نقف وقفات خاصة عند نقد الشعراء أو محكمين سواق الأدب وما شاكل ذلك مما نجده في كتب الأدب القديمة، وذلك لكي تظل في حدود الفكرة الأساسية التي يقوم عليها هذا الكتاب وهي معالجة النقد المنهجي عند العرب ".[2]

ثم يوضح مفهوم النقد المنهجي بقوله: "هو ذلك النقد الذي يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة يتناول بالدرس مدارس أدبية أو شعراء أو خصومات يُفَصَّل القول فيها ويبسط عناصرها ويبصر بمواضع الجمال والقبح فيها ".

اعتمد (مُحَمَّد مندور) في رصده لتطور النقد الأدبي العربي القديم من خلال تحديد أربع مفاهيم متأثرا في ذلك بالناقد الفرنسي (غوستاف لانسون) وهي:

1– **الأدب:** كما يعّرفه (مُحَمَّد مندور) في كتاب (النقد المنهجي عند العرب): " هو كل المؤلفات التي تكتب لكافة المثقفين لتثير لديهم بفضل خصائص صياغتها صورا

1- – بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص21.
2- المصدر نفسه ص 22.

خيالية، أو انفعالات شعورية أو إحساسات فنية ".[1]

ويعرفه الدكتور (مُحَمَّد غنيمي هلال) بأنه "مجموعة من المشاعر وأحاسيس ينسجها الأديب في لمسات شعر أو خطابة أو نثر أو قصة ".[2]

2- **النقد المنهجي**: هو فن دراسة النصوص ومعرفة جيدها ورديئها والوقوف على جمالياتها وفق مناهج وأساليب علمية واضحة.

يرى (مُحَمَّد مندور) أن النقد ملازم للشعر في قوله: "وجد النقد عند العرب ملازما للشعر".[3] وأي تغير يطرأ على الشعر يصحبه ويبدو ذلك جليا في النقد.

3- **التاريخ الأدبي**: هو تخصص يدرس تطور الأدب على ضوء التيارات الأدبية، وعلاقات الأدب بالتاريخ، فهو يجمع المؤلفات بما يجمعها من صلات في الموضوع والصياغة ليضع تاريخ الفنون الأدبية كما يجمع تسلسل الأفكار والأحاسيس ليضع تاريخ التيارات العقلية والفكرية .[4]

4- **الذوق الأدبي**: هو ملكة الإحساس بالجمال، والتمييز بدقة بين محاسن العمل الفني ومثالبه.[5]

يحدد (مُحَمَّد مندور) لا الذوق الأدبي في العمل النقدي اعتمادا على الأهمية التي حددها له (لانسون) "وهي الاعتماد على المنهج الذي يمكننا من الإحساس بقوة المؤلفات وجمالها، فلنستخدمه في ذلك صراحة ولكن لنقصره على ذلك في عزم ولنعرف – مع احتفاظنا به – كيف نميزه ونقدره ونراجعه ونحده وهذه هي الشروط الأربعة لاستخدامه ".[6]

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص23.

2- مُحَمَّد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، سنة 1998، صفحة الغلاف الأخير.

3- بشرى عبد المجيد النقد الادبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص23.

4- ينظر، م، ن، ص، ن.

5-ينظر، مُحَمَّد عزام، المصطلح النقدي في التراث الأدبي، دار الشروق العربي، لبنان، د.ط، 2010، ص 183.

1- مُحَمَّد عزام المصطلح النقدي في التراث الأدبي ص 24.

فهو بهذا يعترف بتأثره واتباعه للمناهج الغربية، بكل صراحة ويدعوا لانتهاجها ما دامت تخدم النقد والأدب.

مُحَّد غنيمي هلال وقضية نشأة النقد العربي القديم:

استهل (مُحَّد غنيمي هلال) حديثه بتعريف النقد الأدبي بقوله: "يقوم جوهر النقد الأدبي أولا على الكشف عن جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي وتمييزها مما سواها عن طريق الشرح والتعليل ثم يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها ".[1] ثم يؤسس لقضية النشأة انطلاقا من التلازم القائم بين الفلسفة والنقد، ويظهر هذا الارتباط في عصور النقد الحديثة، فأي تقدم في العلوم الإنسانية يصحبه تقدم في النقد، فهو يصرح بعدم اهتمامه بتلك الأحكام التي صدرت عن الشعراء والأدباء بأسواق الجاهلية والعصر الإسلامي.إذ يرى أن هذه الأسواق مشابهة لما كان يتم في الأعياد الدينية بمدينة (أثينا)؛ فهو يحدد منشأ النقد انطلاقا من العصر العباسي عند امتزاج الثقافة العربية بالثقافات الأخرى عن طريق الترجمة وتحديدا مع (قدامة بن جعفر) في كتابه (نقد الشعر) الذي ظهرت فيه ملامح القواعد اليونانية يقول: "...فمن ذلك اتجاه قدامة إلى دراسة الأجناس الأدبية تبعا لنظرة أرسطو في النظر إلى العمل الأدبي، بوصفه كلا ذا وحدة في حدود ما فهم قدامة ومن سايروه ".[2] فالنقد في نظره لا يستقيم إلا بالفلسفة فمن نتيجة الفلسفة المثالية أن وجد في النقد المذهب التأثري و نزعة الأسلوبيين العامة التي تمثلها مدرسة النقد الحديث الأمريكية، فثالوث الفلسفة والنقد والأدب مرتبط ببعضه في حقل العلوم الإنسانية.

وهو يتفق مع (مُحَّد مندور) في أن كل تقدم نابع من الثقافة الغربية، فهو يدعوا إلى الانفتاح والأخذ من هذه الثقافات بهدف تعديل النظرة العربية للأدب، وهو يمثل لذلك بالأدب الأوروبي الذي

2-بشرى عبد المجيد النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 25.

3- م ن، ص27.

تطور بفضل عودته إلى الأدب اليوناني القديم والروماني والشيء نفسه للنقد في العصر العباسي بسبب اتصاله بالأدب الفارسي والفلسفة اليونانية .[1]

ويؤكد ذلك بقوله: "إن نهضتنا الأدبية الحديثة ترجع في أصولها إلى الأدب الغربي بحيث لا يستطيع الناقد أن يخطو فيه خطوة ذات قيمة ما لم يكن على صلة وثيقة بالآداب الغربية وتيارات النقد فيها، وتاريخ الآداب القومية على نفسها ".[2] نلمس في تقويم الكاتبة لرأي (مُحَمَّد غنيمي هلال) أنه رأي مبني على خلفيات ثقافية أجنبية والتي أثرت بشكل أو بآخر في توجهه وأفكاره.[3]

إحسان عباس وقضية نشأة النقد العربي القديم:

يتبين من تعريف (إحسان عباس) للنقد الأدبي في كتابه (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) نشأة النقد الأدبي بقوله: "في حقيقته تعبير عن موقف كلّي متكامل في النظرة إلى الفن عامة وإلى الشعر خاصة يبدأ بالتذوق، أي القدرة على التمييز، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتقييم ".[4] ومن هذا المفهوم يتضح أن نقد المراحل الأولى خالٍ من النقد الصحيح فأهم خطوات النقد الصحيح لديه هي التفسير والتعليل، إذ يُرجع غياب النقد فيما قبل القرن الثاني لأسباب منها:

1- **غياب التأليف**: ذلك لأن جلّ التراث العربي تناقل شفاهة انطلاقا من العصر الجاهلي وهذا ما أدى إلى ضياع الكثير منه وبهذا يصعب فحص هذا التراث وفق منهج معين.

2- **غياب الإحساس بالتغير والتطور**: وذلك بالتجديد والأخذ من الثقافات الأخرى، يقول: "والتأليف يخلق مجالا للنقد صالحا، ولكنه لا يستطيع أن يخلق وحده نقدا منظما بل لابد هناك من عوامل أخرى وأهم هذه العوامل جميعا الإحساس بالتغير والتطور في الذوق العام أو في طبيعة

1- ينظر، بشرى عبد المجيد تاكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم المحدثين، ص28.
2- المصدر نفسه، ص29.
3- ينظر، م ن، ص30.
4- م ن، ن ص.

الفن الشعري أو في المقاييس الأخلاقية التي يستند إليها الشعر". يرجع (إحسان عباس) الممارسة الفعلية للنقد على يد) الأصمعي 212هـ) وذلك بسبب تميزه عن سابقيه بمواقف نقدية واضحة، "الفصل بين الشعر والأخلاق، الفحولة،العناية بالتشبيه ".[1] و نختصر تقييم المؤلفة لما سبق فيما يلي:

1- اتفاق كل من (طه أحمد إبراهيم) و (مُحَمَّد مندور) على عروبة النقد والتلازم بين النقد والشعر.

2- اتفاق كل من (مُحَمَّد مندور) و (مُحَمَّد غنيمي هلال) على تجاوز الشفاهية وعلى أن بداية النقد الممنهج تنطلق من القرن الرابع الهجري.

كما ترى – بشرى عبد المجيد – أنّ النقاد الأربعة وقعوا في فخ تفسير ظاهرة أدبية بظاهرة أدبية أخرى، فقضية تثقيف الشعراء لشعرهم التي نصّها (طه أحمد إبراهيم) عملية إبداعية أكثر منها نقدية، فالنقد في رأيها يبدأ مع نص جاهز معروض للقارئ، أما فيما يخص المنهج المتبع فهو المنهج التاريخي فقد انطلقت قراءة كل منهم من مفهوم معين وتعدد هذه القراءات يوصلنا إلى نتائج متعددة أي أن للنقد بدايات متعددة تختلف باختلاف العصور والثقافات.

الفصل الأول: و قسمته إلى

1- اللفظ قضية والمعنى لدى ابن قتيبة الدينوري في تقويم النقاد المحدثين.

2- قضية القديم والمحدث لدى عبد الله بن المعتز في تقويم النقاد المحدثين.

1- قضية اللفظ والمعنى لدى ابن قتيبة في تقويم النقاد المحدثين:

قضية اللفظ والمعنى متجذرة في القدم، وهي من أهم القضايا التي أرّقت النقاد القدامى فهي المادة الخام للعمل الأدبي شعرا كان أم نثرا، وجل ما يدور حوله النقاش في أيهما يحقق الجمالية الفنية

1- بشرى عبد المجيد تاكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم المحدثين ص 31،32.

اللفظ أو المعنى، وهنا نجد أنفسنا أمام ثلاث اتجاهات، أولها: يؤيد اللفظ باعتبار أن المعنى حاضر ومتاح للجميع وإنّما طريقة الصياغة واختيار الألفاظ تختلف، ومن رواد هذا اللتجاه (أبو عثمان الجاحظ) و (أبو هلال العسكري) ، (ابن رشيق القيرواني) ثم "ضياء الدين بن الأثير).

ثاني اتجاه يرى أن التفاوت يكمن في المعاني والأفكار فحضور المعنى يقود إلى انتقاء الألفاظ المناسبة دون تكلف أو صعوبة من رواده: (عبد القاهر الجرجاني) و (يحي بن حمزة العلوي).

وثالث اتجاه يعادل بين ضرورة الإتيان بما جاد من لفظ ومعنى معا وأشهر رواده (ابن قتيبة).[1]

استدلت الكاتبة على كل ما سبق ذكره بقول (مُحَّد غنيمي هلال) : " وقد انقسم نقاد العرب فيها إلى طوائف: فمنهم من نظر إلى مقومات العمل الأدبي فأرجعه إلى جانب المعنى مغفلا شأن اللفظ، و آخرون أرجعوها إلى اللفظ ومنهم من ساوى بين اللفظ والمعنى ".[2]

تعود أصول هذه القضية إلى المتكلمين والمعتزلة أمثال (بشر بن المعتمر) الذي تحدث عن ثنائية اللفظ والمعنى في صحيفته فقال: "من أرغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإنّ حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن نصونهما عما يفسدهما، ...فكن في ثلاث منازل فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت ".[3]

فهو يوجب العناية بالطرفين لمراعاة مقتضى الحال، فاختيارهما متعلق ببلاغة الأديب وما يجب للمقام من مقال. و عرضت بشرى عبد المجيد رأي "الجاحظ" حول قضية اللفظ والمعنى وذلك من خلال تناوله مقولته المشهورة "... المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي

1- ينظر، بشرى عبد المجيد تاكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص43.
2- المصدر نفسه، ص44.
3- م ن، ص45.

والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وصحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير ".[1]

وقد حدد (الجاحظ) مفهوم اللفظ والمعنى في كتاب (البيان والتبيين) حيث أشار فيه إلى أن أحسن الكلام ما كان معناه في ظاهر لفظه، وهذا لا يحدث إلا بالمزاوجة بين المعنى الشريف واللفظ البليغ يقول في ذلك: "وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه... فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة ".[2]

سجلت الكاتبة بعض الملاحظات حول رأي "الجاحظ":

أ- قول "الجاحظ" لا يقلل من قيمة المعاني فهي تظهر التفاوت بين الشعراء .

ب- "الجاحظ" لا يعني من قوله هذا انفصال المعنى عن اللفظ إذ المعنى تابع للفظ فالبلاغة لديه هي المزاوجة بين اللفظ والمعنى فاللفظ لباس المعنى.[3]

2- مسحة عن كتاب (الشعر والشعراء) : من أهم مصادر الأدب الأولى سماه البعض (طبقات الشعراء) وهذه التسمية لا تناسبه فهو لم يصنف الشعراء في طبقات كما فعل (ابن سلام الجمحي) في مؤلفه، طبعت مقدمته في ليدن سنة 1875، مصدرة بمقدمة باللغة الفلمنكية، ثم طبع المستشرق (دي جوين) الكتاب كله بقسميه (الشعر والشعراء) في ليدن سنة 1920 ووضع له مقدمة قيمة باللغة اللاتينية، ثم طبع بمصر عدة طبعات رديئة وأخيرا طبعة جديدة سنة 1945 في مطبعة عيسى الحلبي بتحقيق مُحَمَّد شاكر.[4]

1- بشرى عبد المجيد تاكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم المحدثين ، ص48.

2- المصدر نفسه، ص، ن.

3-ينظر، م ن، ص49.

1- ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص54.

ينطوي المؤلف على محورين:

المحور الأول: تحدث فيه عن الشعر وهو الشق الأول من عنوان الكتاب وفي ذلك يقول: "هذا كتاب ألفته في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم، وأسماء آبائهم ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم، وعما يستحسن من أخبار الرجل و يستجاد من شعره، وما أخذه العلماء عليهم من في ألفاظهم أو معانيهم وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون وأخبرت فيه عن أقسام الشعر، وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها ".[1]

المحور الثاني: يذكر فيه أسماء الشعراء تراجمهم وأخبارهم وقبائلهم وما إلى ذلك، انتقى فيه المشهورين والمتقدمين، يقول: { وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب، وفي النحو، وفي كتاب الله... وحديث رسول الله ﷺ، فأما من خفي اسمه وقل ذكره وكسد شعره وكان لا يعرفه إلا بعض الخواص فما أقل من ذكرت من هذه الطبقة ".[2]

المتصفح لكتاب (الشعر والشعراء) لا يجد (ابن قتيبة) ملتزما بمقياس الشعر في ترتيبه للشعراء وذلك لأنه قدم المتلمس والمسيب بن علس على طرفة بن العبد والأعشى دون مبرر، وتعد مقدمة الكتاب من أهم الآثار التي تركها، والتي تناول فيها دواعي الشعر (الطمع، الشوق، الطرب الغضب) إضافة إلى إيراده الأمثلة على إجادة بعض الشعراء لفنون من الشعر وتخلفهم في بعضها بسبب تلك الدواعي، ثم تحدث عن أمور ذات صلة بالنقد هي كالتالي:

2- ينظر، المصدر نفسه، ص55.

3- م ن، ن،ص

أ– حديث عن الشاعر: اعتمد (ابن قتيبة)في تأريخه للشعراء على كثرة الشعر إذ أنه لم يترجم لمن قل شعره، ولو فعل لكان أولى أن يذكر صحابة رسول الله ﷺ، والخلفاء والأشراف ولجعلهم في طبقات الشعراء.

ب–**حديثه عن الشعر**: أساس الجودة عنده القيمة الفنية بغض النظر عن الزمان والمكان، فهو لا يتفق مع من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، فالشعر والبلاغة موجودة في كل زمان وليست مختصة بقوم دون آخر، وهو بهذا يقسم الشعر من حيث اللفظ والمعنى إلى أربعة أقسام:[1]

1- قسم حسن لفظه وجاد معناه.

2- قسم حسن لفظه وساء معناه.

3- قسم ساء لفظه وساء معناه.

4- قسم ساء لفظه وجاد معناه

فابن قتيبة لا يقتصر جودة الشعر على اللفظ وحده أو المعنى لوحده، بل هما بمثابة الوجهان للعملة الواحدة والواجب تخير اللفظ والمعنى معا. أما فيما يخص عيوب الشعر التي ذكرها تتعلق بالصياغة والأوزان والقوافي والإعراب (الإقواء، السناد، الإجازة).[2]

ج–حديث عن بناء القصيدة: تحدث ابن قتيبة عن وحدات القصيدة العربية التي اعتاد عليها العرب ويحددها فيما يلي:

1- ذكر الديار والدمن والآثار

1- ينظر، بشرى عبد المجيد تاكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص56.

2-المصدر نفسه ، ص 57.

2- مخاطبة الربع واستيقاف الرفيق.

3- وصف الضعائن (الرحلة).

4- النسيب وشكوى الفراق والشوق.

ثم انتقل إلى الحديث عن المتكلف والمطبوع، فالمتكلف في نظره من يعمد إلى شعره ويتقنه ومن هؤلاء رواد المدرسة الأوسية، أما المطبوع ما ينتج عن سلسقة عربية قحة دون تصنع وتكلف مبينا ذلك بأمثلة.[1] أما فيما يتعلق بالمتن فقد ضم تراجم للشعراء وأخبارهم منذ العصر الجاهلي حتى منتصف القرن الثاني الهجري.

تعليق مُحَمَّد مندور على عمل ابن قتيبة: يثمن (مُحَمَّد مندور) مقدمة (ابن قتيبة) لكنه يعتبرها بعيدة عن متن الكتاب، حيث أنها لخصت قضايا ومسائل مهمة لكنه لم يفصل فيها بل قام بعرض تراجم الشعراء وبعض أشعارهم يقول: "لم يتناول النصوص ولا الشعر بنقد فني، تطبيقي، إنما اكتفى بأن عرض في مقدمته لبعض المسائل العامة يحاول أن يضع لها مبادئ ثم أخذ في سرد سير الشعراء، وبعض أشعارهم على غير منهج واضح ولا مبدأ في التأليف ".[2]

ولكن المتصفح لكتابه يجد أنه صنف الشعراء وفقا لروابط نستخلصها في:

1- **رابطة الدم** : ترجم (ابن قتيبة) لمن تربطهم علاقة قرابة كزهير بن أبي سلمى ثم لابنه بعده وترجم للمرقش الأكبر ثم للأصغر وهو أخوه في رواية، وابن أخيه في رواية أخرى.[3]

2- **رابطة العشق**: حيث أنه ترجم لتوبة ابن الحمير عاشق ليلى الأخيلية ثم يترجم لها بعده.

1-ينظر، بشرى عبد المجيد تاكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم المحدثين ص 58.

2- المصدر نفسه ن، ص

1- ينظر، بشرى عبد المجيد تاكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم المحدثين ص58

3- **رابطة ذكر القرين بقرينه:** ترجم لشعراء النقائض على التوالي (جرير والفرزدق والأخطل) دون مراعاة السن فقد ترجم للأخطل بعد أن ترجم للفرزدق وجرير، وهو أسنهم، والملاحظ لهذا الترتيب يجد أن (ابن قتيبة) رتبهم وفقا لمكانتهم الفنية، ثم ترجم بعد ذلك للبعيث لصلته بهم، ثم ترجم بعد ذلك لكُثير ثم للأحوص وهما شعراء الغزل ثم انتقل للترجمة لشعراء العشق والنسيب للمجنون وعروة بن حزام وبعده لقيس بن ذريح صاحب لبنى.

4- **رابطة الصداقة:** ترجم للكميث بن زيد الأسدي، ثم الطرماح بن حكيم بعده.

5- **رابطة القرابة الفنية:** ترجم للعجاج الراجز، ثم لابنه رؤبة ثم ترجم لأبي نخيل الراجز، وهم الشعراء الذين اشتركوا في نفس الفن من الشعر.

6- **رابطة قبلية:** ترجم للشعراء الذين ينتمون إلى قبيلة واحدة بعنوان شعراء (هذيل) نسبة إلى قبيلة (هذيل).

7- **رابطة الموضوع:** ترجم على إثرها لأبي نواس ثم العباس بن الأحنف ثم مسلم بن الوليد، لأنهم تقاربوا في موضوعات اللهو والخمر والمجون.[1]

يعد كتاب (ابن قتيبة) برغم ما وجه له من نقد الإنطلاقة الأولى لكتب النقد التي جاءت بعده، وذلك أنه وضع الشعر أربعة أقسام حيث اعتبر الكثير هذه الأقسام قاعدة في الدراسات البلاغية التي تفرعت عن المتأخرين.

ويعد كتابا أدبيا لأنه أحصى فيه ستة ومائتين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين وكتاب نقد لأن فيه مآخذ العلماء على الشعراء، وتكلمه عن السرقات الشعرية وعن أقسام الشعر،[2] يقول (مُحَمَّد مندور) عن كتاب (ابن قتيبة) ناقدا : "يلاحظ أنه كلام قد يفيد أن

2-ينظر، المصدر نفسه. ص 59.

1-ينظر، بشرى عبد المجيد تاكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم المحدثين ، ص 59.

المؤلف قد جمع بين التاريخ والنقد ولكن الواقع بخلاف ذلك، فابن قتيبة لم يتناول النصوص ولا الشعر بنقد فني تطبيقي، وإنما اكتفى بأن عرض في مقدمته (من ص 2 إلى 36) لبعض المسائل العامة ويحاول أن يضع لها مبادئ، ثم أخذ في سرد سير الشعراء وبعض أشعارهم على غير منهج واضح ولا مبدأ في التأليف ".[1]

الشكل والمضمون لدى ابن قتيبة في تقويم النقاد المحدثين:

تمهيد:

يعد (ابن قتيبة) من أهم القدامى الذين اهتموا بقضية الشكل والمضمون، فقد قسم الشعر إلى أربعة أضرب:

1- ضرب حسن لفظه وجاد معناه: كقول (أبي ذؤيب) :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا وَإِذَا تُرَدُّ إلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ[2]

2- ضرب حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشت فيه لم تجد هناك فائدة في المعنى: كقول الشاعر:

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنَى كُلَّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ

وَشُدَّتْ على حُدُبِ المهَارِ رِحَالُنَا يَنْظُرُ الغَادِي الذِي هُوَ رَائِحٌ

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المِطِيِّ الأَبَاطِحُ[3]

وهذه الأبيات في نظر (ابن قتيبة)حسنة الجرس جميلة والمخارج ولكن معناها دارج.

2- المصدر نفسه ص 61.

3-ينظر، ابن مُحَمَّد عبد الله مسلم ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مطبعة بريل، مدينة ليدن المسيحية، سنة 1902، ص 7.

1- ينظر، ابن مُحَمَّد عبد الله مسلم ابن قتيبة، الشعر والشعراء ، ص 8.

علق (مُحَمَّد غنيمي) على رأي (ابن قتيبة)بقوله: " وكأن ابن قتيبة يرى أن المعنى هو ما يتم به غرض من أغراض القصيدة، لأن ذلك من مقتضى صنعة الشعر وإمكانه".[1]

3- ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه: كقول (لبيد ابن ربيعة) :

مَا عَاتَبَ المرْءَ الكَرِيمَ كَنَفْسِهِ وَالمرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصَّالِحُ

فهذا البيت جيد المعنى غير أنه قليل الماء والرونق، ليس فيه شيء من الطراوة والإشراق على حد رأي (ابن قتيبة).

4- ضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه كقول الشاعر:

وَقَدْ غَدَوْتُ إلى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِي شَاوٍ مِشَلٍّ شَلُولٌ شَلْشَلٌ شَوِلٌ[2]

وهذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد، فهي تعني الرجل الحسن الصحبة السريع في تلبية الطلب والحاجة.[3]

التقسيم الذي أعطاه (ابن قتيبة) للشعر يرضي المناطقة وأصحاب النظرة العقلية – في رأي بشرى عبد المجيد – وهو ما حذر منه في مهاجمته للفلاسفة وأهل المنطق وأساليبهم.

طه أحمد إبراهيم وابن قتيبة : عرض (طه أحمد إبراهيم) رأيه حول تقسيم (ابن قتيبة) للشعر، فقد اعتبره حصرا علميا، فابن قتيبة حصر الشعر في عنصران هما اللفظ والمعنى متجاهلا صاحب الإبداع –الشاعر- وذهنه، فأصبح الناقد نتيجة هذا التقسيم الرياضي أمام : " قواعد عامة... فيصبح النقد كالعلم، له قيود وضوابط، وتصبح عناصر الأدب في بنيته ومعانيه وجماله الفني الذي لا يدرك إلا بالذوق، ولا يأتي تصويره باللفظ في كثير من المواطن، يصبح ذلك كله معينا، له

2-بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص62.

3- ينظر، المصدر نفسه ص 9،12.

4- ينظر، م ن ص 13.

أصول، وله نعوت، وله حالات لا تختلف، ويصبح الناقد أمام أمور محدودة محصورة يسهل عليه أن يحللها وأن يحكم عليها ".[1]و نفهم من قول هذا أن (ابن قتيبة) جعل من النقد مادة جامدة ذات قواعد رياضية، فالشعر في رأي (طه أحمد إبراهيم) مرتبط بالشعور لذا يصعب استعمال القواعد الثابتة في دراسته ونقده.

كما يعلق (إحسان عباس) على ما جاء به (ابن قتيبة) بقوله: "استعملنا هنا لفظتي (الجودة والرداءة) وإن كان ابن قتيبة لم يستعملهما، وإنما استعمل أحيانا "ضرب حسن لفظه، فإذا أنت فتشت فيه لم تجد هناك فائدة في المعنى أو ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه ".[2]

فهو لم يستعمل لفظتين حاسمتين في الدلالة، فقد ابتعد عن الحدة إذ ربط الجودة في اللفظ والمعنى معا وهذا يدل أن المعاني وليست متاحة للجميع كما زعم (الجاحظ) (مطروحة في الطريق)، و (إحسان عباس) أتى بمصطلحي (الجودة والرداءة) التي لم يشر إليها (ابن قتيبة)، ومع كل هذا لا يمكن تجاهل التغيير المستمر للذات المبدعة فهي تختلف باختلاف السياقات وغيرها من المسائل التي تتحكم في المبدع.[3]

يتساءل بعدها (طه أحمد إبراهيم)عن الأساس الذي من أجله صنف الصياغة إلى جيدة وقاصرة ونفس السؤال بالنسبة للمعنى.

يجيب قائلا: "تكون الصياغة حسنة حين تكون حسنة المخارج والمطالع والمقاطع والسبك عذبة، لها ماء ورونق سهل... وتكون حسنة إذا خلت من عيوب الشعر وضروراته واستقام الوزن، وحسن الروي، أما المعاني الجيدة فهي الحيوية المادية إن صح التعبير والمعاني التي تنحدث عن تجربة أو أمر

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص63.

2-المصدر نفسه ن ص.

3-ينظر، م ن، ص 64 .

واقع في الحياة فأما الناعمة المتموجة الروحية التي تذاق دون أن تمسك أو تضبط فهي ليست بشيء ".[1]

وليس (ابن قتيبة) الوحيد الذي تحدث عن اللفظ والمعنى فقد تكلم عنهما قبله (بشر بن المعتمر والجاحظ) لكن (الجاحظ) لم يقسم الشعر كما فعل (ابن قتيبة) بل قسم الشعراء إلى أربع أقسام:

أولهم: الفحل، الخنديد. والخنديد هو التام.

ثانيهم: الشاعر المفلق أي مبدع. ثالثهم: الشاعر فقط.

رابعهم: الشعرور، أي شاعر ضعيف.[2]

يقول (الجاحظ) : " وسمعت بعض العلماء يقول طبقات الشعراء ثلاث: شاعر وشعرور وشعرور"[3]. فالجاحظ يقسم الشعراء وابن قتيبة يقسم الشعر.ومن المحتمل أن يكون (ابن قتيبة) قد أخذ فكرة التقسيم من (الجاحظ) وربما اعتمد (ابن قتيبة) على كتاب (الشعر) لأرسطو، وكل واحد منهم اختلف في أساس التقسيم، فأرسطو يقسم الشعر على أساس الموضوع: الملهاة، المأساة، الملحمة...وفصل في عناصر كل منها، والجاحظ يقسم الشعر إلى أقسام من غير أن يضع معالم لكل قسم تميزه من غيره، أما (ابن قتيبة) فقد قسم الشعر انطلاقا من ثنائية اللفظ والمعنى، فقد حصر اللفظ في رصف الكلمات وانسجامها وتآلفها أو بمعنى آخر الصياغة التي تجمع اللفظ والوزن والروي.[4]

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 64..

2-ينظر،المصدر نفسه ص، ن.

3- م ن، ص 65

1- ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 65.

وهذه الصياغة لا تساوي شيئا إلا إذا كان المعنى يشتمل على حكمة أو مثل أو فكرة فلسفية أو معنى أخلاقي وهذا ما يبينه القسم أو الضرب الثالث وهو ضرب حسن لفظه فإذا فتشت فيه لم تجد له فائدة في المعنى.

وبذلك فإن (ابن قتيبة) يريد –حسب رأي طه أحمد إبراهيم– : " باللفظ التأليف والنظم، يريد الصياغة كلها بما تتضمنه من لفظ ووزن وروي، ويريد بالمعنى الفكرة التي يبين عنها البيت أو الأبيات ".[1]

أما رأي (إحسان عباس) حول هذه القضية فهو " يستشف من أمثلة ابن قتيبة أن المعنى عنده قد يعني الصورة الشعرية مثلما يعني الحكمة ولكن هذه الأمثلة نفسها تشير على أن يستمد حكمة من بيت واحد أو بيتين أو ثلاثة في الأكثر ".[2]

وبناءا على ماسبق سطرت الكاتبة مجموعة من النتائج نذكر منها :

1- لا معنى للشعر إذا لم يكن يحمل دلالة فلسفية أو حكمة.

2- الألفاظ عند ابن قتيبة تشتمل على دلالات مفردة مستقلة.

3- أهمل ابن قتيبة الشكل كثيرا وهذا لا يساعد على تقويم العمل الفني، فقد فصل الشكل وأخذ يقدره كما لو كان شيئا خارجيا تعلق به المضمون.

4- كان حكم ابن قتيبة على العمل الفني جزئي لأنه لم ينظر للعمل الفني كاملا وذلك من خلال حكمه على جودة اللفظ والمعنى فقد حكم على جودة البيت الواحد أو البيتين، فالجزء لا يفهم إلا في إطاره الكلي.

2- المصدر نفسه ص66 .

3 – م ن، ن ص.

5- تغافل ابن قتيبة عن ضرورة ائتلاف اللفظ والمعنى، أي مناسبة اللفظ للمعنى، فالفخر تناسبه الجزالة، التي تملأ الفم والغزل تناسبه الألفاظ الرقيقة الناعمة...، وائتلاف اللفظ مع المعنى هو ما يسميه عبد القاهر الجرجاني (النظم).[1]

مُحَمَّد مندور وابن قتيبة:

يقدم (مُحَمَّد مندور) في نقده (لابن قتيبة) سؤالا استفزازيا عن قصور الناحية التاريخية للأدب لديه فيقول: " إذا كان ابن قتيبة لم يظهر أصالة خاصة في التأريخ الأدبي فهل كان له شيء من الفضل في السير بالنقد الأدبي إلى الأمام خطوة تدنيه مما صار إليه عند رجل كالآمدي من نضوج ".[2]

فهو يرى أن النموذج الماثل كان مع الآمدي والقاضي الجرجاني ويظهر ذلك من خلال نقده لتقسيم ابن قتيبة الشعر إلى أربعة أضرب، فقد اعتبر عمل ابن قتيبة تقريري إحصائي وأن ما جاء به من ألفاظ (حسن) و (جاد) و (حلا) و (قصر) و (تأخر) أحكام مطلقة لم تبنى على توافق بين اللفظ والمعنى، فهو يجعل من نقد (ابن قتيبة) نقدا ذاتيا ذوقيا، أكد على ذلك قبله (طه أحمد إبراهيم) حين قوم مشروع ابن قتيبة اللفظي فتساءل " هل هذه القواعد كافية في تذوق الأدب؟، وهل تستطيع أن تصل إلى قراءة الشعر وأن تبلغ من الأعماق؟. إنها نافعة في غير شك مقوية للحكم على الشعر من غير شك، ولكن مداها يقصر عن إدراك كثير من روحانية الشعر وجماله الفني ".[3]

فهو لا يذكر أهمية هذا التقسيم غير أنه يرى أنه غير كافي لإدراك مكنونات العمل الفني وأثره العميق.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص66،
2- المصدر نفسه، ص67.
1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص68.

قام "مُحَمَّد مندور" بإسناد أحكام (ابن قتيبة) إلى مبدأين:

الأول: أن اللفظ في خدمة المعنى وأن المعنى الواحد يمكن أن يعبر عنه بألفاظ مختلفة يحلو بعضها ويقصر الآخر.

الثاني: لابد لكل بيت من الشعر معنى.

ويرى فيهما من القصور ما يفسر ذوق (ابن قتيبة) القائم عليهما فاللفظ في خدمة المعنى أو العبارة عنه، في رأي – مُحَمَّد مندور – جزئي قد أتلف ذوقه وذلك لوجوب التمييز بين نوعين من الأساليب:[1]

الأسلوب العقلي: يستخدم في العلم والتاريخ والفلسفة وآداب الفكرة وهو ما يوافق نظرة (ابن قتيبة) فاللفظ حينها لا يقصد به سوى التعبير عن المعنى، وتذهب بشرى إلى أبعد من ذلك فتقول أن المعنى الواحد لا يمكن التعبير عنه إلا باللفظ الواحد، فالكاتب الحق – في رأيها – هو الذي لا يطمئن حتى يقع على الجملة الدقيقة التي تحمل ما في نفسه حملا أمينا كاملا، حتى تصبح عبارته كالجسم الذي لا يمكن الزيادة فيه أو الانتقاص منه، فقد جعلت العلاقة بين اللفظ والمعنى كشفرتي المقص لا معنى للثانية بدون الأولى.[2]

الأسلوب الفني: يختلف عن الأسلوب العقلي في أن الألفاظ فيه لا تستعمل للتعبير عن المعنى بل يقصد لذاته فهو في حد ذاته خلق فني.[3]

2- ينظر، المصدر نفسه، ن ص.

1- ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص69.

2- ينظر، المصدر نفسه، ص ن.

أثبت (مُحَمَّد مندور) خلال مناقشته لابن قتيبة قاعدة كان سطرها في بداية الأمر أن (ابن قتيبة)كان موجها خيرا منه ناقدا. وبعد مراجعته الأمثلة التي أوردها (ابن قتيبة) في شأن المعنى يخرج إلى أن المعنى لدى (ابن قتيبة) يقصد به أحد الأمرين:

1- فكرة.

2- معنى أخلاقي.

وتتمثل الفكرة في نقده للأبيات الآتية بخلوها من معنى مفيد:

وَلَمَّا قَضَيْنَا من مِنىَ كُلَّ حَاجَةٍ ومَسَّحَ بِالأَرْكَانِ من هُوَ مَاسِحُ

وشُدَّتْ على حُدَبِ المِطَايَا رِحَالُنَا ولا يَنْظُرُ الغَادِي الذي هو رائِحُ[1]

فمن الواضح أن هذه الأبيات لا تحمل أي فكرة.وهو في هذه النقطة – مُحَمَّد مندور – يختلف مع "طه أحمد إبراهيم"، حيث نص أن (ابن قتيبة) " يريد بالمعنى الفكرة التي يبين عنها البيت أو الأبيات، شرح ذلك حين تعجب من أن يختار الأصمعي بيتا ليس بصحيح الوزن، ولا حسن الروي ولا متخير اللفظ، ولا لطيف المعنى ".[2]

أما المعنى الأخلاقي فواضح من إعجابه بمثل قول (أبي ذؤيب) كما ينص على ذلك (مُحَمَّد مندور) قال الشاعر:

والنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا واذَا تُرَدُّ إلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ [3]

فنظرة (ابن قتيبة) لقضية اللفظ والمعنى حسب (مُحَمَّد مندور) ضيقة باعتبار أنه حصرها بالمعنى الأخلاقي والأفكار ففي رأيه أن مجرد التصوير الفني قد يكون الأجود.

3- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 8.

4- المصدر السابق، ص70.

1- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص7.

ترى بشرى عبد المجيد بأن "مُحَمَّد مندور" كان متعسفا في حكمه على (ابن قتيبة)، فالنظرة الصائبة في رأيها تقتضي النظر إلى مواطن الضعف والقوة وهذا ما أهمله (مُحَمَّد مندور) بتركيزه على الجانب السلبي فهي لا توافقه في رأيه، فقد غض النظر على جيد مختارات (ابن قتيبة). فمحمد

مندور حصر المعنى عند (ابن قتيبة) وهي ترى في المعنى عنده:

1-العبرة المستقاة من تجربة ذاتية.

2- المعاني النفسية: ويتضح ذلك من خلال أبيات (الفرزدق).

3- الجانب الأخلاقي: الذي اختار له بيت (لبيد ابن ربيعة) الذي يقول:

مَا عَاتَبَ المرْءَ الكَرِيمَ كَنَفْسِهِ والمرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصَّالِحُ

مثالا للشعر الذي جاد معناه.

لم ينصف (مُحَمَّد مندور) "(ابن قتيبة) في نقده، ولم يعترف بفضله وجهوده العلمية وخدمته للمكتبة العربية القديمة، فقد اعتبر ذوق هذا الأخير رديئ لا يجب الاعتداد به.

استعانت الكاتبة للجواب على سؤال (مُحَمَّد مندور) من خلال مقولة (طه أحمد إبراهيم) في تعليقه على موسوعية (ابن قتيبة) " رجل تلك معارفه وذهنيته لابد أن يكون له ذوق خاص ومنحى خاص إذا تصدى للنقد الأدبي ".[1]

ونفس النظرة يراها (إحسان عباس) فقد أقر بجهد (ابن قتيبة) حين قال: " وعلى الرغم من فقر المصطلح النقدي لدى (ابن قتيبة) فقد تمرس في مقدمته بأكبر المشكلات النقدية التي سيكثر حولها الحديث من بعده، فتحدث عن الشعر من خلال قضية اللفظ والمعنى، والتكلف وجودة

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 73.

2- المصدر نفسه، ص، ن.

الصنعة وعن ضرورة المناسب بين الموضوعات في القصيدة الواحدة وتلاحقها في سياق

واعتمادها على وحدة معنوية تقيم التلاحم والقران "[1]

مُحَّد غنيمي هلال: نظر (مُحَّد غنيمي هلال) إلى ثنائية اللفظ والمعنى في قالب كلي له علاقة بالتراث اليوناني، فقد خرج بخلاصة أن (ابن قتيبة) ساوى بين اللفظ والمعنى وذلك بقوله: " وممن يستوي بين اللفظ والمعنى وابن قتيبة فخير الشعر عنده ما حسن لفظه وجاد معناه، فإذا قصر اللفظ عن المعنى أو حلا اللفظ ولم يكن وراءه طائل كان الكلام معيبا ".[3] فقد نظر (ابن قتيبة) بعين العدل إلى اللفظ والمعنى ورأى أن تحقيق الجودة في كليهما.

يبدي (طه أحمد إبراهيم) رأيه حول قضية اللفظ والمعنى فيقول : " ومنهم من ساوى بين اللفظ والمعنى ومنهم من نظر إلى الألفاظ من جهة دلالتها على معانيها في نظم الكلام، والرأي الأخير أهم هذه الآراء ".[4] فهو بذلك يدافع عن نظرية النظم لدى (عبد القاهر الجرجاني) فقد أفرد لها فصلا مستقلا في مؤلفه وعلق عليها مناصرا لها بقوله: " فإنهم على جانب كبير من الصواب في اهتمامهم بالصياغة إذ هي أساس يجب أن يتوفر في كل ما يصح أن نطلق عليه أدبا، وقد كان اهتمام كثير من نقاد العرب بأمر الصياغة كفاء لاهتمامهم بالمعاني الجزئية والوجوه البلاغية ونتيجة لانحصار جهدهم في فهم التجديد في هذه الحدود لم يكادوا يتجاوزونها ".[2]

2- قضية القديم والمحدث لدى عبد الله بن المعتز في تقويم النقاد المحدثين:

تعد قضية الخصومة من قضايا الحضارة والفكر الإنساني فهي تقتصر على جيل انقضى عهده وجيل جديد ظهر بمعطيات تتنافس والقديم، فتشتعل شرارة الصراع بين القديم والمحدث.

3- م ن ص 75

4- م ن، ص 76

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 76.

فقد أصبح من الحقائق الواضحة في تاريخ النقد القديم، أن الشعر في العصور الإسلامية ظل لفترة طويلة من الزمن يتجاذبه اتجاهان فنيان أحدهما قديم والآخر محدث، وقد كان لكل اتجاه من هذين في البداية مفهوم خاص، ولكنه تغير بعد ذلك، تبعا لتغير الزمن وتبدل ذوق العصر وفكره، فمثلا كان مفهوم القديم في عصر الرواة الأوائل كأبي عمر ابن العلاء (109هـ) وحماد(108هـ) وخلف الأحمر(180هـ) مقتصرا على الشعر الجاهلي وحسب، أما المحدث فهو كل شعر ظهر بعد ذلك، ويتضح هذا من قول الأصمعي عن أستاذه أبي عمرو بن العلاء الذي كان أعلم الناس في عصره بأمور العرب وأصح الرواة سماعا وأصدقهم لسانا.[1]

أما القديم عند الجيل الثاني من الرواة كالأصمعي(217هـ) وأبي عبيدة(210هـ) وابن الأعرابي(231هـ) وأقرانهم، فقد اتسع مفهومه فشمل من شعراء العصر الجاهلي بعض شعراء العصر الإسلامي، الذين تشتمل أشعارهم معظم الخصائص الفنية للشعر الجاهلي، كجزالة التعبير ورصانته، ووضوح المعنى وصفاء الطبع، وبدوية الصور والأخيلة.

وقد وضعوا زمنيا لآخر من يحبح بشعره من الإسلاميين، على وجه التقريب سنة خمسين ومائة للهجرة، وهي السنة التي توفي فيها ابن هرمة الذي يعد عندهم آخر من يحبح بشعره.[2]

إن قيام الدولة العباسية في أوائل القرن الثاني هجري غير الحياة العربية، إذ ابتعدت تدريجيا عن البداوة بسبب العرب، وانفتاحهم علة ثقافات جديدة فأصبحوا ينزعون إلى التجديد، ومن ثم بدأوا في تطويع الشعر للتعبير عن واقعهم المعاش فجددوا فيه وهذا ما عبر عنه (طه أحمد إبراهيم) حين طرح موقفه من التجديد متسائلا: " أيصح من شاعر كأبي نواس يقيم في بغداد مع الرشيد والأمين أن يستهل مدائحه بأطلال لم يقف بها، وناقة لعله لم يركبها؟ أيصح أن تكون الديباجة التي

2- ينظر، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم. تاريخها وخصائصها، عثمان موافى، دار المعرفة الجامعية، ط2، الاسكندرية، 2000، ص12.

1- ينظر، عثمان موافى الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم، تاريخها وخصائصها، ، ص 15.

أخذت عناصرها من مشاهد الصحراء صالحة لمن يقيم علة ضفاف دجلة بين ترف ولهو وقصور ورياض؟ ، كما أن الديباجة الجاهلية صادقة لأنها تصور الحياة الجاهلية البدوية، فكذلك يجب أن تكون ديباجة الشعر الحديث صادقة تصور الحياة الحضرية الناعمة وإذن فلابد من الانصراف على المطالع القديمة والتفكير في شيء جديد ملائم، وليس الأمر في حاجة إلى مجهود عميق، فنحن نحاكي القدماء فيما صنعوا ونأخذ ديباجة للشعر من حياتنا الحاضرة ".[1]

فطه أحمد إبراهيم يرى أن تجديدهم لم يكن في الأغراض والموضوعات فقد كان في المقدمة التي لم تعد تتوافق وطبيعة الواقع الذي يعيشونه، فهي لا تمت لواقعهم بأية صلة، وهذا في رأيه ليس بتغيير، فلم يقوموا سوى بوضع الأفكار القديمة في صياغة جديدة، فالتجديد عنده استبدال أصول الشعر القديم بأصول غيرها، أي تغيير الجوهر.[2]

ذهب (مُحَمَّد مندور) إلى أن "دعوة أبي نواس لم تكن من الناحية الفنية ضرورة حتمية، وبخاصة وأنها لم تعد أن تكون محازاة للشعر القديم، والمحازاة عنده أكبر من التقليد وذلك لأننا كنا نفهم أن يدعوا إلى نوع جديد من الشعر وأما أن يحافظ على الهياكل القديمة للقصيدة مستبدلا ديباجة بأخرى وأن يدعوا إلى الحديث في موضوعات لا تستطيع أن تحرك نفوس الجميع فذلك ما لا يمكن أن يعتبر خلقا لشعر جديد ".[3]

أما بالنسبة لمحمد غنيمي هلال فيرى أنه يمكن اعتبار (أبي نواس) من كبار النقاد في استبداله المقدمة الطللية بالخمرية لكن لا ضرورة لكليهما في القصيدة الحديثة.[4]

فجل ما اتفق عليه النقاد هو:

1- استبدال مقدمة بأخرى ليس من التجديد في شيئ.

2- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص85.

3- ينظر، م ن، ص86.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 88.

2- ينظر، المصدر نفسه، ص ن.

2- بداية الصراع بين القدماء والمحدثين كانت مع (أبو نواس) الذي وصف للهو والمجون بدلا من وصف الدمن والقفار والأطلال، فقد دعا أبو نواس إلى الواقعية في التعبير الشعري، ومما يدل على احتدام الثورة بين القديم والمحدث أبيات أبي نواس في قوله:

عَاجَ الشَّقِيُّ على دَارٍ يُسَائِلُها وعُجْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَّارَةِ البَلَدِ

كَمْ بَيْنَ من يَشْتَرِي خَمْرَاً يُلَذِّ بُهَا وبَيْنَ بَاكٍ على نُؤْيٍ و مُنْتَضِدِ

لا يُرْقِئُ اللَّه عَيْنِي من بَكَا حَجَراً ولا شَفَى وَجْدَ من يَصْبُوا إلى وَتَدِ

قَالَ ادَّكَرْتُ دِيَارَ الحَيِّ من أَسَدٍ لا دَرَّ دَرُّكَ قُلْ لي مَنْ بَنُوا أَسَدٍ.[1]

لم يكن تجديد (أبي نواس) مقتصرا على المقدمة الطللية، بل تعدى ذلك إلى عمود الشعر في ألفاظه ومعانيه، ولم يكن الوحيد الذي غيؤ بل جاء (أبو تمام) الذي أثار ضجة بخروجه عن عمود الشعر من حيث الصياغة والتماسه البديع " ولم يقف تجديد المحدثين عند الديباجة، وعند الصياغة بل حاولوا أن يجددوا كذلك في أعاريض الشعر وأوزانه فاهتدى بشار إلى أوزان جديدة نظم منها تظرفا، واستعمل أبو العتاهية أوزانا غير التي نظم منها القدماء ".[2]

اعتبر الشعراء المحدثون الصياغة أهم شيء فنزحوا إلى زخرفتها يقول (طه أحمد إبراهيم):" فاعتقدوا أو اعتقد كثير منهم أن المعاني نضبت وأن لا ملكية فيها، ولا فضل، وأن أهم شيء في الشعر هو

3- ديوان أبو نواس، برواية الصولي، تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، ط1، أبو ضبي، 2010، ص93.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص88.

الصياغة وليس المهم إذا شيئا يقال، وإنما أن يقال هذا الشيء في بيان جميل وكيف يتأتى هذا البيان الجميل بالزخرف في العبارة والتصنيف؟ ".[1]

لا يعتبر الزخرف والتنميق بيانا إذ أنهم لم يغيروا الجوهر.وهذا ما أكده أيضا (مُحَمَّد مندور) حين قال:" لم يقولوا أفكارا جديدة في صياغة قديمة بل حاولوا بوجه عام أن يقولوا الأفكار القديمة في صياغة جديدة ".[2]

ومن خلال هذه الآراء تستخلص بشرى عبد المجيد أهم عناصر الخصومة بين القدماء والمحدثين والمتمثلة في:

1- اختلافهم في عمود الشعر.

2- خروجهم عن نهج القصيدة.

3- الإيمان بفكرة استنفاذ القدماء للمعاني.

وهذا ما أكده (مُحَمَّد مندور) حين قال بأن أساس الخصومة هو الفرق بين اتجاه القدماء واتجاه المحدثين " وعلى هذا النحو نرى الفارق بين المذهبين، مذهب القدماء العريق ...من حيث أنه يصاغ من معطيات الحواس المباشرة بعيدا عن التجديد والإغراب ومذهب المحدثين ".[3] وهذا الاختلاف يؤدي حتما إلى التعصب القديم ضد المحدث، وقد مرت هذه الظاهرة بأربع حركات:

2- المصدر نفسه، ص، ن.

3- م ن، ص 89.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 89.

2- المصدر نفسه، ص 90.

الحركة الأولى: كانت في العصر الأموي عصر التدوين حول فحول الشعر الأموي، جرير الفرزدق، والأخطل والراعي وذي الرمة، فكانت هذه الأشعار تشكل المثل الأعلى لعلماء اللغة والرواة والنحاة، وكانت الخصومة بداية بين الشعراء والنحاة وبعض النقاد فقد كانوا يقفون على أخطاء الشعراء دون النظر إلى جمال شعرهم ومن أهم الشعراء الذين تعاركوا مع النحويين (الفرزدق) الذي يقول في مدحه لزيد بن عبد الملك:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورُ

على عَمَائِمِنَا تُلْقَى وأَرْحُلُنَا على زَوَاحِفٍ تُزْجَى مُخُّها ريرِ[1]

فقال له (ابن أبي اسحاق) (أسأت، إنما هي رير).

وأنشد (الفرزدق) قصيدته: عزفت بأعشاش وما كسدت تعزف فمر فيها فلما وصل إلى قول:

وَغَضُّ زَمَانٍ يَا ابن مَرْوَانٍ لَمَ تَدَعِ من المالِ إلاَّ مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ

فقال (ابن أبي اسحاق) " على أي شيء رفعت (مجلفا)؟ قال على ما يسوؤك" فلما أكثر (ابن أبي اسحاق) الرد على "الفرزدق" هجاه قائلا:

فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى هَجَوْتُهُ وَلَكِنَّ عَبْدَ اللَّهِ مَوْلَى مُوَالِيَا

فكان منه أن قال: " لحنت "رد الياء إلى الأصل" وهي أبيات ولكن هذا البيت تركه ساكنا ".[2]

لا يعد (مُحَمَّد مندور) هذه الحركة من قبيل الخصومة، فهو يرى أنها مجرد تعصب العلماء للغة فهي في نظره لا تقوم على النقد الأدبي فهو يهتم بالخصومة الفنية التي أثارت الحركة النقدية في القرن الرابع الهجري.[1]

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص91

الحركة الثانية: تعلقت هذه الحركة بالشعر المولد الذي لاقى تعصبا شديدا من قبل الرواة فقد رفضوا كل تغيير في التعبير، وذلك لما اعتادوا عليه من حس الذوق البدوي ذو التعابير الجزلة والفصاحة، واعتبروا الخروج عن ذلك ضعفا لغويا، وكان هؤلاء الشعراء يرون في التعصب قيودا لحريتهم في التعبير. إن طبيعة العمل الذي قام به علماء النحو واللغة في تدوين مفردات اللغة وجمع الشعر، ووضع القواعد، جعلهم متشددين لا يقبلون شيئا يخالف قواعدهم التي وضعوها إذ كانوا يطعنون على العرب الفصحاء إذ خالفوا القياس.كما رفضوا بعض الأشعار ولم يقبلوا إلا عن العرب الأقحاج، ومثال ذلك ما قاله (الأصمعي) عن (الكميت) إنه (ليس بحجة لأنه مولد). فقد رفض النحاة الإحتجاج بشعر المولدين، وذلك لاحتكاك العرب بغيرهم من العجم والمثل الأعلى للشعر عندهم هو شعر البادية، وهو ما جعلهم يشدون الرحال إليها لأخذ وتدوين العربية من أفواه العرب.[2]

وقد اعتبر الشاعر (عمار الكلبي) موقف الشعراء من النحاة، ومدى إحساسهم بما يفرضه عليهم هؤلاء من قيود في قصيدته منها هذه الأبيات:

مَاذا لَقِينَا مِنَ المسْتَعْرَبِينَ ومن قِيَاسِ نَحْوِهِمْ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا

إِذَا قُلْتُ قَافِيَةً بِكْراً يَكُونُ بِهَا بَيْتٌ خِلاَفُ الَّذِي قَاسُوهُ أو ذَرَعُوا

قَالُوا لَحَّنْتَ وهذا لَيْسَ مُنْتَصِباً وذَاكَ حِفْظٌ وَلَيْسَ يُرْتَفَعُ.[3]

فمن خلال هذه الأبيات نجد أن الشاعر يوجه اتهاما للنحاة بعدم وقوفهم على جماليات الشعر

2 – ينظر المصدر نفسه، ن ص

3 – ينظر م ن ن ص

1– بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 93.

واهتمامهم باللغة والنحو فقط وهو ما أشار إليه الجاحظ حين قال: "طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة، فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب فلم أظفر بما أردت إلا عند أدبا الكتاب، كالحسن بن وهب، ومُحَمَّد ابن عبد الملك الزيات ".[1]

ترى بشرى عبد المجيد أن الاتهام الذي وجه للنحاة بعدم بصرهم بجوهر الشعر، أو القدرة على تمييز جيده من رديئه غير منطقي ومبالغة، فهي تجد أن جانب النحو والصرف طغى على أحكامهم وهضا من طبيعة اختصاصهم، لكنهم لم يهملوا ما في الشعر من جمال فني.[2]

الحركة الثالثة: هي أكبر خصومة في تاريخ النقد والتي كانت بين (البحتري) و (أبي تمام)، فقد انقسم الناس إلى أنصار (البحتري) وأنصار (أ بو تمام) واعتبر كل فريق ندا للآخر.

لم يحظ الشعر المحدث من النقد الكبير اهتمام وذلك لافتقار النقد إلى القواعد والأدوات والمصطلحات التي تمكنه من الخوض فيه، فقد كان محدودا بمقياس متعارف بين العلماء ومن ذلك قول ثعلب : " أنا أعاشر الكتاب كثيرا وخاصة أبا العباس بن ثوابه وأكثر ما يجري في مجالسهم شعر أبي تمام ولست أعلمه، لي منه شيئا ".[3]

فهو يجهل شعر (أبي تمام) برغم قرب عهده به، فكانت رغبته كبيرة في الاطلاع على الشعر المحدث التي تحققت وأفشلت استمرارية التعصب للقديم، فقد تحددت معالم الشعر مع مطلع القرن الثالث الهجري، فقد وصل إلى مستوى الشعر القديم وتفوق عليه أحيانا، وبهذا يكون النقد قد تخلص من التعصب، كما ظهرت أصوات أطاحت بالقديم ونظرت بموضوعية وهي استقلال الأثر الشعري عن عصره وقائله.

2- المصدر نفسه، ن ص.

3- ينظر، م ن، ص 96.

4- م ن ص ن ص

ويعتبر (المبرد) من أوائل علماء اللغة الذين وقفوا موقف القبول من التحول الشعري، فقد اعتبر الشعر المحدث كأصل من الأصول التي يدرسها لطلابه، وهذا ما أشار إليه (ابن المعتز) حيث شرح له قصيدة (لأبي نواس) ، كما أورد (المبرد) بعض النماذج للشعر المحدث في كتابه (الكامل) وخصص له كتابا كاملا أسماه (الروضة) ذكره (ياقوت الحموي)، وقال عنه ابن (الأثير) إنه كتاب جمعه واختار فيه أشعار الشعراء، بدأ فيه بأبي نواس ثم بمن كان في زمانه، وانسحب على ذيله.[1]

روى (الصولي) قوله عن (البحتري) " والله إن لأبي تمام والبحتري من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل، ما وجد فيه مثله " ، بلإضافة إلى ما قاله (ابن المعتز) " يا أبا العباس ضع في نفسك ما شئت من الشعراء ثم انظر أيحسن أن يقول مثل ما قاله أبو تمام لأبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي يعتذر إليه، فقال أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد: ما سمعت أحسن من هذا قط.... (وكان ابن المعتز قد قرأ عليه بضعة أبيات) ما يهضم هذا الرجل حقه إلا أحد الرجلين إما جاهل يعلم الشعر وإما عالم لم يتبحر شعره ولم يسمعه ".[2]

فقد وقف (المبرد) بجانب الشعر المحدث إذ لمس فيه جود ة أما (ابن قتيبة) كان منصفا للشعر

المحدث وارتكزت نظرته على:

1- التشكيك في صلاحية المقياس النقدي القديم وتزييفه.

2- وضع مقياس نقدي جديد، يعد أساسا صالحا لنقد الشعر.

3- الحياد الموضوعي اتجاه النص " لا نظرت إلى متقدم بعين الجلالة لتقدمه ".

4- التعريض بالمنهج النقدي لدى العلماء والذي قوامه التعصب "إني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ".

1-ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 97.

2- المصدر نفسه، ص 98.

5- عدم ارتباط موهبة الإبداع بجنس أو زمن " ولم يقصر الله العلم والاشعر والبلاغة على زمن دون زمن ".[1]

وهذا ما يبطل المقياس الذي يعتمد الزمن أساسا لقبول الشعر أو رفضه ويستبدله بالمقياس الفني الذي تمثل في الجودة أو الرداءة يقول (ابن قتيبة) : " فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وإتيانا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قاأو فاعله، ولا حداثه سنة، كما أن الرديء إذا أورد علينا للمتقدم أو الشريف، لم يدفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه ".[2]

كما أن (الجاحظ) وبرغم إيمانه بجودة الشعر العربي القديم النابع عن أصالة عربية فإنه لا يغض الطرف عن جودة الشعر المحدث، وقيمته الفنية وبذلك يضرب عنصر الجنس وعنصر الزمان

والمكان، فهو يعادي المتعصبين للقديم أو المحدث، وفق مقاييس غير موضوعية، بهدف إنصاف الشعر المحدث.[3] أما (عبد الله ابن المعتز) فلم يتحمس للشعر الحديث باعتبا أنه شاعر محدث، لكنه غير نظرته ودافع عن أصحابه ليثبت القيمة الفنية، وذلك من خلال كتابه طبقات الشعراء المحدثين فقد ترجم فيه للعديد من الشعراء المحدثين.لم تكن الخصومة بين القديم والمحدث فقط بل أصبحت بين المحدثين أنفسهم ومثال ذلك سؤال (البحتري) أيهما أشعر أنت أم أبو تمام؟ فقال : " جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه ".[4] كما أن (البحتري) فاضل بين اثنين وحكم لأحدهما على الآخر حين قال: " دعبل ابن علي الخزاعي أشعر عندي من مسلم بن الوليد، ولما

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 99.

2-المصدر نفسه، ص، ن.

3-ينظر، م ن ن ص

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 100.

قيل له كيف ذلك؟ قال: لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم بن الوليد ومذهبه أشبه بمذاهبهم ".[1]

انتبه "طه أحمد إبراهيم" للخصومة بين المحدثين أنفسهم حين قال: " ويمضي القرن الثاني وتنقضي الخصومة بين القدماء والمحدثين بانقراض القدماء ولكنها تظل بين المحدثين بعضهم وبعض ".[2]

الحركة الرابعة: بعد تلاشي الخصومة بين (البحتري) و (أبو تمام) اشتعلت نار الخصومة بمجيء (المتنبي) الذي غاص في المعاني وضمن شعره فلسفة عصره فكانت المعركة بين الأنصار والخصوم فكان هدف الخصوم تحطيم شعر (المتنبي) انتقاما من شخصه وتعاظمه وتعاليه فوصفوا شعره بأنه (مرقع) ومصنوع من معاني الغير، أما أنصاره فقد صوروا إعجابهم بشعره وقدموا له شروحات في ديوان.[3]

يعتبر (الحاتمي) من الذين تناولوا (المتنبي) بالنقد، فظهور (المتنبي) في العراق بعد مغادرته مصر أثار حسه النقدي، فاعتبره سارق (لأبي تمام)، و(المتنبي) ينكر معرفته (بأبي تمام) وشعره، يقول (مُحَمَّد مندور) في تقويمه للرسالة الحاتمية :" من واجبنا أن ننظر في الرسالة الحاتمية مع شيء من الحذر، فلا نرفضها كلية كما يدعونا الأستاذ أحمد إبراهيم، بل نفحصها بيتا بيتا لنرى صحة دعوى الحاتمية من باطلها، ومن البين أنه من الواجب أن نميز بين الأفكار العلمية التي يمكن أن تكون قد أتت إلى الشاعر مباشرة أو نتيجة لتجارب حياته، وبين الآراء النظرية التي تظهر فيها الروح الفلسفية على نحو واضح، كما يجب أن نميز بين المعاني في ذاتها وبين طرق الصياغة ".[4]

2- المصدر نفسه ن ص.

3- م، ن، ص، ن.

4- ينظر،م ن، ص 101.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 101.

أما عن أنصاره نجد (ابن جني) المعجب بشعره حتى قال: " وما لهذا الرجل من عيب عند هؤلاء السقطة الجهال...إلا أنه متأخر محدث ".[1]

فهو يرى أن مدائح (المتنبي) لكافور مبطنة بالهجاء إضافة إلى كونه من أوائل شراح ديوانه حتى أصبح شعره أساس الروح الأخرى، ونجد إلى جانب (ابن جني) (عبد العزيز الجرجاني) مؤلف (الوساطة بين المتنبي وخصومه) الذي كون النقد المعتدل[2]، فمناصروه – المتنبي – يعفونه من الوقوع في الخطأ، ومعارضوه ينفونه من نطاق الأدب، فتطلب ذلك ظهور موقف ثالث وسط من المسألة وهو موقف (عبد العزيز الجرجاني) الذي التفت إلى أن تأثير البيئة في الأدب صحيح، والتي قال بها الآمدي في موازنته لكن (الجرجاني) أوضحها وأبان عنها...فقد كان يقيس شعر (المتنبي) بشعر غيره في الموضوع الواحد، ويفضل أحدهما، يقول (الجرجاني) في دفاعه عن (المتنبي) : " وقد آتينا على ما حضر من هذا الكتاب ونبنا عنك في جمعه واستحضاره ولفظه، وتصفح الدواوين ولقاء العلماء فيه، وبيضنا أوراقا لما لعله شذ عنا من غريبه، وما عسانا نظفر على مرو الأوقات به، وما نأبى أن يكون عندك أو عند أحد من أصحابك في زيادات لم تعثر بها، أو لطائف لم نفطن إليها إن كنت على ثقة من علمك، وبما عندك، وعرفت من طرق السرق ووجوه النقل ما يسوغ في حكمك، وتعدل فيه شهادتك فلا بأس أن تلحق به ما أصبته، وأن تضيف إليه ما وجدته بعد أن تتجنب الحيف، وتتنكب الجور، وتعلم أن وراءك من النقاد من يعتبر عليك نقدك ومن لا يستسلم للعصبية استسلامك..."[3] تختلف الخصومة حول (المتنبي) عن الخصومة حول (أبي تمام)، لأن الثاني صاحب مذهب جديد في الشعر، فقد اعتبر مفسدا له، أما الخصومة حول (المتنبي)

2- م، ن، ص ن.

3- ينظر، م ن ، ص 102

4- م ن ن ص.

فكانت حول شاعر أصيل لم يصدر إلا عن طبعه وليس شعرا مصنوعا وخصومته نتجت عن اتصاله بسيف الدولة الحمداني فلم يجد الخصوم إلا تحريض سيف الدولة ضده .[1]

الخصومة بين القدماء والمحدثين لدى ابن المعتز في تقويم النقاد المحدثين:

مسحة عن كتاب طبقات الشعراء المحدثين: ألف هذا الكتاب سنة 280هـ، ركز فيه صاحبه على الترجمة للشعراء المحدثين سواءا الذين عاصروه أو الذين سبقوه، فقد حفظ بعض الأسماء التي لم توجد ليومنا في مؤلف غيره منهم: أبو الفضة البصري، اسماعيل بن يوسف البصري، أبو الأسد الثعلبي وغيرهم، ونلاحظ أيضا أن هذا الكتاب يضم شعراء لم يعد ذكرهم مهما، وكانوا من المشاهير في عصرهم أمثال أبي الغول الذي ختم ابن (المعتز) الحديث عنه بقوله: " وله شعر كثير وهو من المشهورين الذين يوجد شعرهم بكل مكان ".[2]

ولا نستبعد أن (ابن المعتز) اعتمد على المؤلفات السابقة (كطبقات فحول الشعراء) (لابن سلام) و (الشعر والشعراء) (لابن قتيبة) ودقته المنهجية في هدا الكتاب تدل قطعا على ذلك.

تصف المؤلفة كتاب (ابن المعتز) انطلاقا من العنوان وتحدد معاني مختلفة لمصطلح الطبقة منها:

1**–إفادته للمعاصرة:** وهي تعني تعاصر جماعة من الناس في زمن معين وهو مفهوم يعني التزامن والتعايش في عصر معين ومثال دلك قولنا: طبقات العلماء وطبقات الرواة وطبقات النحاة أي الجماعة الذين تواجدوا في حقبة زمنية معينة.

2**–تفيد التقارب في المرتبة بصفة عامة:** فنقول طبقات العلماء أي يشتركون في مرتبة واحدة من العلم برغم اختلاف اهتماماتهم وتوجهاتهم.

3**–التقارب في المستوى الفني:** وهذا ما نجده في كتاب (ابن سلام) أي أن اشتراك الشعراء في

1- ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص103.

2- المصدر نفسه، ص 108.

مستوى فني، يضمهم ويصفهم بالطبقة، دون مراعاة عنصر الزمن، فالشعر هو إطار الاهتمام.[1]

4–مرادفة للترجمة: استعملها (ابن المعتز) في كتابه (طبقات الشعراء المحدثين) وتعني ذكر سير وأخبار الشعراء الدين ترجم لهم.

اعتمد (ابن المعتز) في ترجمته للشعراء على مرتكزين أساسيين هما:

-المنهج الفني.

-الظرف الزمني.[2]

فإذا اختل أحد الشرطين لا وجود لطبقة، حتى وإن وجد التطابق المنهجي لشاعرين وهما من عصرين مختلفين، فلا يدخلهما في طبقة واحدة لوجود الفارق الزمني، ومثال دلك ما يقول بخصوص (العباس بن الأحنف) " كان العباس بن الأحنف صاحب غزل، رقيق الشعر، يشبه في عصره بعمر بن أبي ربيعة المخزومي في عصره، فهو يكرر عبارة (في عصره) لأهمية العامل الزمني وأثره عل خصائص الشعر مما لا يبيح جعل شعر عصرين مختلفين في طبقة واحدة، رغم التشابه المنهجي بينهما".[3]

لم يكن ترتيب (ابن المعتز) للشعراء وفق منهج أو قواعد محددة فقد بدأ بشعراء المديح ثم شعراء المجون وإلى جانبهم المسوسون لينتهي بجماعة من الشواعر، كما تحدث عن أغراض كتابه في ترجمته (لأبي الشيص) فيقول: "ولكنا لا نخرج من شرط الكتاب لئلا يمله القارئ إدا طال عليه الفن الواحد، وليحفظ هذه النكت والنوادر والملح وليستريح من أخبار المتقدمين وأشعارهم، فإن هذا

1-ينظر، بشر عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 109.

2-ينظر، المصدر نفسه، ص، ن.

3- م ن .ن ص

الشيء قد كثرت رواية الناس له فملوه وقد قيل: لكل جديد لذة، والدي يستعمل في زمننا إنما هو أشعار المحدثين وأخبارهم، فمن ههنا أخدنا من كل خبر عينة ومن كل قلادة حبتها ".[1]

وهدا القول يدل على نصرته للشعر المحدث، فالقديم في نظره أصبح مملا لكثرة القول فيه ودراسته.

اهتم (ابن المعتز) بأصحاب المدرسة الحديثة خاصة مدرسة (البديع) وعلى رأسهم (بشار بن برد) الذي قال عنه: "...وكان مطبوعا جدا لا يتكلف وهو أستاذ المحدثين وسيدهم، ومن لا يقدم عليه ولا يجارى في ميدانه ".[2]

فقد خلد (ابن المعتز) في مؤلفه مجموعة من الشعراء لم يكن علماء الشعر قبله ليهتموا بهم أو بتدوين أخبارهم وهده الجماعة تضم المجان والمسوسين.

وقد قال في حقهم : " وهكذا هؤلاء الشعراء الدين خولطوا بعد قولهم الشعر يوجد في كلامهم تفاوت كبير شديد فإن جاؤوا إلى الشعر مروا عل رؤوسهم ورسمهم المعهود قبل أن يسوسوا "[3].

كما تحدث أيضا عن الشواعر من النساء سواء الجاريات أو الحرات فيذكر عنان وسكت وعائشة العثمانية وغيرهن.كما لا ننسى أن "ابن المعتز" تكلم عن الشعراء الدين اشتركوا في الاتجاه الفني والموضوعات.[4]

القديم والمحدث في تقويم النقاد المحدثين:

جاء كتاب (ابن المعتز) ليكمل مسيرة كتاب (الشعر والشعراء) (لابن قتيبة) فقد وقف (ابن قتيبة) موقف الانصاف من القضية وقام (ابن المعتز) بالتأليف في الشعراء المحدثين، بالإضافة إلى أنه كتب

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 110.
2- المصدر نفسه، ص، ن.
3- م ن ص 111
4-ينظر، م ن ، ص 112.

رسالة في محاسن (أبو تمام) ومساوئه. ثم يناقش كثيرا من قضايا هده الخصومة، فكثرة التأليف تدل على أن هده الخصومة شغلت الأدباء وعلماء اللغة والنحو وهي قضية (أبو تمام)، فقد أسهم (عبد الله ابن المعتز) ومعاصروه في توجيه النقاش فكان كلما تحدث عن (أبي تمام) لم يوفه حقه في ما أجاد فيه، ودافع عنه ولم يغفر له سقطاته، فقد خدمت آراؤه الشعر المحدث وبالخصوص شعر (أبو تمام) يقول فيه (مُحَمَّد مندور) : " ابن المعتز ساعد على خلق النقد المنهجي في تاريخ النقد العربي وهي مؤلفاته الثلاث الشهيرة أولها: رسالته في محاسن شعر "أبي تمام" ومساوئه إلا أنها لم تصل كاملة والثاني: كتاب "البديع" وترتيبه لمحاسن الكلام، أما المؤلف الثالث فقد تمثل في كتابه طبقات الشعراء المحدثين ".[1]

يرى (إحسان عباس) أن نشأة (ابن المعتز) في وسط ثقافي وكونه شاعر محدث، جعله يدافع عن الشعراء المحدثين يقول: " إن ابن المعتز كان في منزلته الاجتماعية يمثل دور الرعاية والعطف عن الحركة الأدبية، وليس من خلق الراعي ذي اليد العليا أن يتجاوز حدود المجاملة الاجتماعية اللائقة".[2]

لكن الكاتبة ترى أن المؤلفات الأولى التي تركها تدل على تحمسه للشعر القديم ويتجلى ذلك

في كتاب (البديع) الذي يرد من خلاله على المحدثين الدين ادعوا أنهم أتوا بالجديد، ويقول (إحسان عباس) عن دلك: " فبدلا من إنصاف الشعر المحدث، دهب ابن المعتز ينصف القديم وعن هده الطريقة أكد أن البديع لم يكن بدعا مستحدثا وإنما كان الفضل فيه للقدماء ".[3]

لكن (ابن المعتز) عدل موقفه من خلال تأليفه لكتاب (طبقات الشعراء المحدثين) فهدا الكتاب يمثل مرحلة متأخرة في حياته، والدليل على دلك موقفه من (أبي تمام) إذ يبدوا أن هدا الموقف مر

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 113.
2-المصدر نفسه، ص 114.
3- م ن ن ص،

بمرحلتين، مرحلة تمثلها رسالة مستقلة، ومرحلة يمثلها كتاب الطبقات الذي ترجم فيه لمعظم الشعراء المحدثين، ودكر نمادج من أشعارهم ومنهم (أبو تمام) الذي " كان يمثل مشكلة فنية لدى ابن المعتز...كانت سببا من الأسباب التي وجهته إلى تأليف كتاب البديع ".[1]

أما قوله في (أبي تمام) قال: " وجه ابن أبي إلى ابن الأعرابي لأقرأ عليه أشعارا، وكنت معجبا بشعر أبي تمام، فقرأت عليه من أشعار هذيل، ثم قرأت عليه أرجوزة أبي تمام، على أنها لبعض شعراء هذيل":

وَعَاذِلٌ عَذَلْتُهُ فِي عَذْلِهِ فَظَنَّ أَنِّي جَاهِلٌ مِنْ جَهْلِهِ[2]

حتى أتمها فقال: أكتب لي هذه، فكتبتها له، ثم قلت: أحسنة هي؟ قال: ما سمعت بأحسن منها، فقلت: إنها لأبي تمام، قال: خرق، خرق، رد ابن المعتز عن هذا التصرف فقال:" وهذا الفعل من العلماء مفرط القبح، لأنه يجب ألا يدفع إحسان محسن عدوا كان أو صديقا، وأن تؤخذ الفائدة من الرفيع والوضيع، فإنه يروي عن أمير المؤمنين على ابن أبي طالب أنه قال:" الحكمة ضالة المؤمن، فخذ ضالته، ولو من أهل الشرك ".[3] فهذا دليل على تعاطف ابن المعتز مع الشعر المحدث وهذا ما يؤكد أنه غير موقفه المتعصب القديم.

كان من المفروض عن (ابن المعتز) الميل كليا إلى الشعر المحدث بحكم أنه شاعر محدث، لكنه بقي لفترة متأرجحا بين القديم والمحدث، وظهر ذلك في شعره. وليس تأرجحه بين القديم والمحدث دليل على ضعفه أو عجزه فهو مع الجميل أينما حل يتذوقه بحسه النقدي سواء كان ذلك في النص القديم أو المحدث فقد نظر بعين العدل إلى الطرفين.[4]

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 114 .
2- المصدر نفسه ص 115
3- م ن ،ن ص .
4- ينظر م ن ص 116.

الخصومة في نظر "مُحَمَّد مندور" هي العامل لنشأة النقد المنهجي عند العرب حيث يقول: " إن النقد العربي قد قام في القرنين الرابع والخامس حول تلك الخصومة الشديدة بين أنصار الحديث وأنصار القديم، ووفقا لعناصرها تحددت وسائله واتجاهاته[1] ". كما يؤكد ذلك بقوله: " مذهب البديع ونشأة النقد المنهجي عند العرب: ابن المعتز وقدامة ابن جعفر ". فهو يرى أن ظهور النقد المنهجي كان مع (ابن المعتز) و(قدامة ابن جعفر) . وإلى جانب (مُحَمَّد مندور) نجد (مُحَمَّد غنيمي هلال) لا يعير اهتماما لذلك التعصب حول القديم والمحدث، كما نجده متعاطفا مع المحدث حيث قال: " وقد افترق نقاد العرب في أمر هذه الخصومة، فمنهم من تعصب للقديم لقدمه كأبي عمر ابن العلاء...الذي كان يقول: لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياتنا بروايته ".[2]

والقول الفصل في هذا ما قاله (ابن قتيبة) : " ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، ولا للمتأخر منهم بعين الإحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل للفريقين وأعطيت كلا حقه...ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم "[3].فهو مؤلف يثبت العدالة الفنية التي تستبعد عنصر الزمن والمكان في المفاضلة ولا تتجاهل التجارب الفنية الناضجة الجديدة المعبرة عن روح عصرها، ونرى (مُحَمَّد غنيمي هلال) يتبناه بقوله : " لا وزن لمثل هذه الآراء "[4] ، ويقصد بها آراء المتعصبين.

وبنظرة مغايرة يرى (طه أحمد إبراهيم) أن الشعر ليس بسبب للخصومة فيقول: " ليس من عرض جديد ولا نوع جديد في الشعر العباسي فالمحدثون احتذوا القدماء في نوع الشعر، وفي آفاقه

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 117.
2- المصدر نفسه ، ص118.
3 – م ن ن ص
4- م ن م ن ص

ومراميه، مدحوا ، وهجوا، ورثوا، وانتصروا للعصبية، وتشيعوا للأحزاب، وقالوا في اللهو وفي الخمر، وتلك كلها أمور قديمة "[1]

فهو يصرح بأن المحدثين لم يأتوا بالجديد سوى الألفاظ وحدها ووضعوا الأفكار القديمة في صياغة جديدة، فلم يغيروا سوى الظاهر. فالتغيير عنده هو خلق أغراض جديدة لم تكن موجودة وليس

التغيير في الديباجة بشيء. يوافقه (مُحَمَّد مندور) في هذا فيقول: " أما أن يحافظ الشاعر على الهياكل القديمة للقصيدة مستبدلا ديباجة بأخرى أو يدعوا إلى الحديث في موضوعات لا تستطيع أن تحرك نفوس الجميع، فذلك ما لا يمكن أن يعتبر خلافا بشعر جديد "[2].

أما صاحبة الكتاب –بشرى عبد المجيد– فترى أن النقد تغافل عن بعض الأسباب التي تعد في نظرنا من الأسباب الجوهرية للخصومة بين القدماء والمحدثين منها:

1–سبب ديني لغوي: من خلال الحرص على ضرورة فهم الأساليب القرآنية حين اشتد الاختلاط والأعاجم وضعف السليقة العربية.

2–**سبب تعليمي**: تعليم اللغة العربية للأعاجم ومدهم بالقواعد التي تعصم ألسنتهم من الخطأ.

3–سبب اجتماعي سياسي: الوضع الممتاز للأدباء والعلماء في العصر العباسي والذي دفع بالخلفاء بتشجيعهم على ملاحقة الظواهر الشعرية المحدثة، وساهموا في التأكيد علة أهمية القديم حيث أنهم كانوا يعلمون أبناءهم اللغة والشعر القديمين نموذجا في ذلك (المفضليات) (للمفضل الضبي) التي جمعها لتعليم المهدي العباسي حيث كان وليا للعهد.[3]

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 118،119 .
2- المصدر نفسه ص 120
3- ينظر م ن ص 125.

الفصل الثاني:

المحور الأول: قضية الموازنة بين شاعرين لدى الآمدي في تقويم النقاد المحدثين:

من طبيعة الإنسان المفاضلة بين الأشياء والموازنة بين الأنواع التي يجمعها من أصل مشترك، ظهر هذا النوع من المفاضلة في المجال المعرفي الشعري، والموازنة نوعان:

موازنة لغوية: هي تساوي ألفاظ الفواصل في الكلام المنثور في الوزن وهو نوع من السجع لكنه يختلف عنه في أنه يعتمد على المعادلة دون المماثلة لأن اعتدال وتماثل أجزاء الفواصل وورودها على حرف واحد، والموازنة اعتدال لا تماثل في فواصلها يقال : "...كل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة "[1]

موازنة أدبية: هي دراسة العلاقة وأوجه الاختلاف بين نصين من النصوص أو أديبين من الأدباء أو عصرين من العصور لتبيان أصالة كل منهما وخصائصه الفنية والنفسية طبقا لمقاييس النقد الأدبي وقوانينه، من أجل إظهار مميزات أحدهما عن الآخر، يقول (زكي مبارك) في كتابه (الموازنة بين الشعراء) : " نوع من القضاء والقاضي عند الحكم يجب أن يبرئ نفسه من جميع الأغراض حين يتقدم للموازنة بين الشعراء ".[2] وهو ما ركز عليه (الآمدي) في موازنته التي قامت بين منهجين متنافرين: منهج البحتري ومنهج أبو تمام ليس بغرض إظهار تفوق أحدهما بل من أجل تبيان الاختلاف الجوهري بينهما.[3]

يعتبر كتاب (الموازنة بين الطائيين) أول كتاب في النقد المقارن بين شاعرين عند العرب وأهم القضايا التي ارتكزت عليها الموازنة:

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 132.
2- المصدر نفسه ، ص 133.
3-ينظر م ن، ص، ن.

1-البديع: وملخص هذه القضية أن البديع ظاهرة قديمة في الشعر العربي عرفها المحدثون، غير أن القدماء استعملوا البديع بلا قصد ودون تعمد، أما المحدثون –بالأخص في العصر العباسي- عرفوا هذه الظاهرة وأكثروا منها حتى اشتهروا بها، ومن أهم الشعراء الذين عرفوا باستعمال البديع (أبو تمام) الذي خالف (البحتري) واخترق عمود الشعر العربي فقد اختار (البحتري) السير على طريقة القدامى في نظم الشعر.

2-**السرقات**: ادعى (أبو تمام) أنه أتى بمذهب جديد في الشعر، وهذا ما أثار حفيظة النقاد الذين صبوا اهتمامهم على إظهار سرقاته بالإضافة إلى إظهار سرقات البحتري.[1]

3-**القدم والحداثة**: هي قضية القرن الثاني الهجري التي تجلت في عدم قبول الشعر المحدث، أما في القرن الثالث فقد تفاوت النقاد في قبول هذا المحدث ومتسامحين مع رواده.[2]

4-**الأخطاء والعيوب**: وهي إظهار العيوب والأخطاء التي يقوم بها الشاعرين (البحتري وأبو تمام) فقد عدل (أبو تمام) عن عمود الشعر وهذا ما جعل النقاد يتحاملون عليه بالنقد.

نجد إلى جانب كتاب الموازنة مؤلفات أخرى فاضلت بين الشعراء ككتاب (طبقات فحول الشعراء) (لابن سلام الجمحي) يفاضل في:

1-غزارة شعر الشاعر.

2-تعدد الأغراض.

3-الجودة الفنية.

أما المفاضلة في كتاب (الشعر والشعراء) فتظهر في تقسيمه للشعر واختياره لكل شاعر التزم بالتقسيمات التي وضعها كما قسم الشعراء إلى متكلفين ومطبوعين.[3]

1-ينظر بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين 133.

2- ينظر م ن ص135.

3-ينظر، ، م ن، ص 135،136.

قضية الموازنة بين الشاعرين لدى الآمدي:

خلاصة عن كتاب (الموازنة بين الطائيين : استوحى صاحب الكتاب فكرته من الصراع الذي كان بين النقاد حول (أبي تمام) و(البحتري)، فقد درس شعر كل واحد منهما، وبهذا اعتبر كتاب الموازنة من أهم المؤلفات النقدية بما يحمله من خصائص، فقد جاء فيه النقد بمنهج علمي واضح.

فبدأ الكتاب بعرض تفصيلي لحجج المعنيين بقضية الفصل بين الشاعرين والحكم عليهما دون أن يعلق على هذه الأحكام، يقول:" وأنا أبتدئ بما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى، عند تخاصمهم في تفضيل أحدهما على الآخر، وما ينعاه بعض على بعض لتتأمل ذلك وتزداد بصيرة وقوة في حكمك إن شئت أن تحكم أو اعتقادك فيما لعلك تعتقده "،[1] فهو يعطي المجال للقارئ ليكتشف طبيعة المعركة والصراع بين الشاعرين وأسباب ذلك الصراع.

فقد بدأ بذكر مساوئ الشاعرين ثم انتقل إلى دراسة سرقات كل من (البحتري وأبو تمام) ويبدأ حديثه عن سرقات (أبي تمام) : " وأنا أذكر ما وقع في كتب الناس من سرقاته، وما استنبطته أنا منها واستخرجته، فإن ظهرت بعد ذلك منها على كل شيء ألحقته بها إن شاء الله ".[2]

يرى (مُحَمَّد مندور) أن دراسة (الآمدي) حققت الإنصاف مستدلا في ذلك بمجموعة من النصوص استقاها من كتاب الموازنة، وبعد ذكر المساوئ ينتقل (الآمدي) إلى ذكر محاسنهما وهذه الخطة التي بنى (الآمدي) عليها مؤلفه سليمة واضحة وهذا ما أكده (إحسان عباس) بقوله: " ونحن إذا استثنينا التلاحم المنهجي الذي قام عليه "نقد الشعر" لقدامة لا نجد بعده ما يقاربه في انتحال صفة "الرسالة" العلمية مثل كتاب الموازنة ".[3]

كما حدد (مُحَمَّد مندور) أيضا الأجزاء التي انبنى عليها الكتاب فكانت كالآتي:

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 139.
2- المصدر نفسه، ص 140.
3- م ن، ص 143.

الجزء الأول: يشمل الخصومة وسرقات أبي تمام.

الجزء الثاني: أخطاء أبي تمام.

الجزء الثالث: عيوب أبي تمام.

الجزء الرابع: خاض بالبحتري عن سرقاته وأخطائه وعيوبه.[1]

الجزء الخامس: محاسن الشاعرين بعد أن فرغ من ذكر مساوئهما، ولكنه عندما وصل إلى التنفيذ لم يجد ما يقوله بعد أن استنفذ خصوم الشاعرين في المحاجة.

الجزء السادس: رد (الآمدي) على (القرطبلي) في كتابه عن أغلاط "أبي تمام" وأخطائه.

الجزء السابع: مناقشة معنى (هل) و(قد):

رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخَطِي مِنَ الأَمْرِ مَا فِيه رِضَا مَنْ لَهُ الأَمْرُ

الجزء الثامن: الموازنة التفصيلية.

الجزء التاسع: التشبيه (وهو مفقود).

الجزء العاشر: الأمثال (وهو مفقود).[2]

الموازنة بين الشاعرين لدى الآمدي في تقويم النقاد المحدثين:

اختلف الشاعر(أبو تمام) و(البحتري) في مذهبهما الشعري، فقد تميز (البحتري) بالطبع، ولم يخالف عمود الشعر المعروف، أما "أبو تمام" فقد كان متكلفا صاحب صنعة مستكره الألفاظ والمعاني، وهذا الجديد الذي ظهر به (أبو تمام) استمال البعض واجتذبهم فصاروا خصومه وندا له

1- ينظر بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 143.
2-ينظر، المصدر نفسه، ص 144.

وكان مجيء (البحتري) على مذهب الأوائل فجعل خصوم (أبو تمام) يحتجون به فصار كل طرف متعصبا لصاحبه، وأطلقوا أحكاما غير معللة تحتاج إلى الدقة حتى ظهر (الآمدي) بمؤلفه (الموازنة بين الطائيين) الذي عرض الحجج والردود وأعطى خلاصة لكل ما ألف في النقد قبله.[1]

ارتكزت موازنة (الآمدي) على منهاجين عام وخاص، أما العام فيتضح للقارئ في مقدمة الكتاب وهو يشمل النقاط الأتية:

1-تأكيد (الآمدي) على الاختلاف الجوهري بين شعر (أبي تمام) وشعر (البحتري).

2-لم يبد رأيه حول من هو أشعر.

3-موازنته بين قصيدتين لهما نفس الوزن والقافية ثم التأكيد على الموازنة بين معنى ومعنى ليظهر أيهما أشعر في ذلك المعنى.

4-عرضه في احتجاج كل فريق في أيهما أفضل.

5-تحديد خصائص شعر كل شاعر بالوقوف عند محاسنهما ومساوئهما.

6-البداية بذكر المساوئ والانتهاء بذكر المحاسن.

7-ذكر مميزات كل منهما في إجادة المعنى.

8-تخصيصه باب لما وقع في شعرهما من التشبيه والأمثال.

9-وضع جدول لمختارات شعريهما وجعله مؤلفا على حرف المعجم.[2]

يقول "مُحَمَّد مندور" حول هذا المنهج: "كانت فكرته الأولى أن يعقد نوعين من الموازنة:

1-ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 145، 146.
2-ينظر، المصدر نفسه، ص 146.

أ-نوع من القصيدتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية وذلك طبعا بصرف النظر عن موضوع القصيدتين ومعانيهما.

ب-الموازنة بين المعاني معنى معنى، ونحن ندرك طبعا أن الموازنة الثانية هي المعقولة وأما الموازنة الأولى فلا يمكن أن تنعقد وأن تأتي بفائدة أو تبصرنا بشيء عن الشاعرين، لأن الوزن والقافية وإعراب القافية إلا ثوبا خارجيا لما في الشعر من فكر أو إحساس أو تصوير، ولقد فطن الآمدي نفسه إلى هذه الحقيقة فلم يكد ينتهي إلى تنفيذ خطته حتى أحس بخطئه فقال: " وقد انتهيت الآن إلى الموازنة، وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعاني التي إليها المقصد وهي المرمى والغرض ".[1]

أما المنهج الخاص فعناصره مبثوثة في ثنايا الكتاب نستخلصها من تجادل أصحاب الخصمين:

1-جعل صاحب أبي تمام في موقف المؤيد بلهجة استفزازية لادعاء صاحب البحتري.

2-جعل صاحب أبي تمام لا يوثق رده على خصمه، ويكتفي بتحديد عناصر الجدال التي يحملها هذا الرد في جمل قصيرة ومختصرة مما ينص على موقف الآمدي المتشدد.

3-يعرض حوار الخصوم ويتدخل تارة لصالح أبي تمام وأخرى لصالح البحتري.

4-رد صاحب البحتري يكون طويل مدعم بالشواهد والأدلة.

لخص (مُحَمَّد مندور) مذهب (الآمدي) في كتابه (الموازنة) الذي استنبط من خلاله أصالة الشاعرين بالإضافة إلى مقارنة لما قاله غيرهما من الشعراء والحكم على ذلك وتفسير التفاوت ليصل في الأخير إلى أنه لا علاقة بين شعر هذين الشاعرين ةتجارب حياتهما.[2] كما ثمن هذا الأخير مذهب (الآمدي) وأشاد به حين قال: " هذا الناقد العظيم لم ينظر إلى الموازنة نظرة مفاضلة وحكم لهذا

1 - بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 147.

2-المصدر نفسه. ص 148.

وذاك فحسب، بل جعل منها قبل كل شيء دراسة مقارنة للشاعرين وكثيرا ما تتسع المناقشة فتشمل كل ما قاله العرب في معنى من المعاني يوضح مناهجه وتفاصيله بحيث نخرج من كتابه بمحصول أدبي لا حد لغناه ".[1]

فهو يرى أن موازنة (الآمدي) عادلة لا مفاضلة فيها، ويسانده (إحسان عباس) حين يقول: " إذا استثنينا التلاحم المنهجي الذي قام عليه (نقد الشعر) لقدامة لا نجد بعده ما يقاربه في انتحال صفة (الرسالة العلمية) مثل كتاب (الموازنة بين الطائيين) ".[2]

ومما أوخذ على (الآمدي) في موازنته –حسب بشرى عبد المجيد- كثرة الأحكام الذوقية التي احتلت مساحات واسعة من موازنته خاصة حين يتعرض لابتداءات البحتري في بكاء الأطلال كما أن (الآمدي) ركز على الموازنة بين معاني الشاعرين موزعة على موضوعات الشعر المختلفة وهو ما أسماه "مُحَمَّد مندور" "ترتيب المعاني في القصيدة العربية التقليدية".[3]

فبدأ بمعاني النسيب وجعل لكل معنى باب مثل:

الوقوف على الديار: أورد (لأبي تمام) خمس أبيات جيدة منها قوله:

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةٌ مِنْ بَاسٍ تَقْضِي حقوق الأَرْبَعَ الأَدْرَاسِ

ثم سبعة أبيات (للبحتري) تدل على تقصيره في قوله:

قِفْ العِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطَاهَا كِلَالَهَا وَسَلْ دَارَ سَعْدِى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا[4]

و يستجيد قول (البحتري):

مَا عَلَى الرَّكْبِ مِنْ وُقُوفِ الرُّكَّابِ فِي مَغَانِي الصِّبَا ورَسْمِ التَّصَابِي

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 148.

2- المصدر نفسه ن، ص

3-م ن ، ص 149.

(فالآمدي) يحكم بينهما بتكافؤ فيقول:" فهذا ما ابتدأ به من ذكر الوقوف، وجعلهما فيه متكافئين، من أجل براعة بيتي البحتري الأولين وأنهما أجود من سائر أبيات أبي تمام، ولأن البحتري في الباب التقصير الذي ذكرته له، وليس لأبي تمام مثله ".[1]

أما معاني النسيب التي جاءت في شعرهما فيقول عنها: " وقد مضت الموازنة بين الابتداءات بذكر الديار والآثار، وأنا الآن أذكر ما جاء عنهما من ذلك في وسط الكلام ".[2]

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الموازنة في الخروج من النسيب إلى غرض آخر فهو يتخذ طريقتين:

1-الخروج يكون متصل في حال ربط النسيب بغرض آخر.

2-الخروج يكون منقطع في حال غياب رابط بين غرض النسيب وغرض آخر وهذان الوجهان وردا في شعر الطائيين. وآخر عناصر الموازنة هو الغرض الذي كتبت من أجله القصيدة و هو المدح.

تناول (طه أحمد إبراهيم) طريقة الموازنة لدى (الآمدي) فخرج بمجموعة من النتائج أهمها:

1-يرى أن الموازنة في أضعف محور في الكتاب ويوافقه في ذلك (إحسان عباس) حين سأل لم الموازنة؟ هل لتفضيل شاعر على آخر؟. ولكن (الآمدي) ينص منذ البدء أنه لن يفعل ذلك نظرا لتباين الناس في العلم واختلاف المذاهب في الشعر لأن القدماء لم يتفقوا على أي الأربعة أشعر (امرؤ القيس والنابغة وزهير والأعشى) وكذلك في (جرير والفرزدق والأخطل)، فمدام هناك اختلاف بين الشاعرين هل تصح الموازنة؟ " هل يمكن الموازنة بين شاعرين متباعدين في الطريقة؟ أليست هذه الموازنة كوضع حديد في كفة ميزان، ووضع نحاس في كفة أخرى، ولا يكون الحكم بعد

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 150.

2- المصدر نفسه ص، ن.

ذلك إلا حول أيهما يرجح بالأخرى من حيث الكم لا من حيث النوع؟ وعلى هذا يظل السؤال الأول لم الموازنة؟ ".[1]

وبذلك فهو يؤكد عدم التكافؤ بين الشاعرين والذي يستوجب عدم الموازنة.فالموازنة لا تقوم إلا فيما هو متساو وغير متباعد.

2- (الآمدي) لم يلتزم بالمنهج الذي سطره في مقدمته، وهو الموازنة بين الشاعرين في قصيدتين من شعرهما لهما نفس الوزن والقافية وإعراب القافية ثم الموازنة بين المعنى والمعنى، ليصل إلى حكم عام في أيهما أشعر في تلك القصيدة.

3-الموازنة بين الشاعرين في مطالع القصائد (ذكر الديار والآثار، وصف الدمن والأطلال...).[2]

إضافة إلى ذلك سجل (طه أحمد إبراهيم) بعض العيوب منها:

أ-لم يتقدم (الآمدي) خطوة واحدة عن ما جاءت به (أم جندب) حين اشترطت في الموازنة بين (علقمة) و(امرؤ القيس) وحدة البحر والروي وهو يقول في ذلك: " إن هذه الشروط من الأمور التي لا تكاد تتفق، أي أنه قلما يقول شاعران في غرض واحد، من بحر واحد، وروي واحد، وحركة روي واحدة حتى يتسنى لنا أن نوازن بينهما موازنة دقيقة ".[3]

ب-كان عليه أن يتبع الأغراض الشعرية، والمعاني التي تأتي فيها ثم يقوم بالموازنة ليصل إلى حكم يقارب الانصاف.

ج-خطأه في الموازنة بين عناصر الديباجة في الشعرين.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 152.

2-ينظر، المصدر نفسه، ن ص

3- م ن ن ص .

أما (مُحَمَّد مندور) فهو يلتزم بالقاعدة التي سنها منذ البداية عن النقد. وقضاياه التي ترتكز على الجانب الناضج المنهجي ودليل ذلك قوله :" لا تظن كبير فائدة في أن نتمهل في الحديث عن

المراحل الأولى في الموازنة كما ظهرت في تاريخ النقد العربي "[1]، كما حدد الموازنة حين قال :" أما الموازنة التي نريد أن ندرسها هنا فهي الموازنة المنهجية، وتلك لا نجدها إلا عند الآمدي الذي كتب فيها كتابا نعتبره كما قلنا من أهم ما خلف العرب من تراث ".[2] ثم قوم موازنة (الآمدي) بأنها مزدوجة تفصيلية ووصفية فقد فضل (أبو تمام) أحيانا و(البحتري) أحيانا أخرى وكافئ بينهما أحيانا ثم وصف خصائصهما.

ثم ختم تقويمه بالحديث عن منهج (الآمدي) حيث اعتبر نقده منهجي يقول:" ...وقد أصبح النقد منهجيا –كما رأينا– عند الآمدي وسنرى عبد العزيز الجرجاني ".[3]

موقف النقاد المحدثين من تعصب الآمدي للبحتري ضد أبي تمام:

تباينت موقف النقاد واختلفت حول هذا التعصب (للبحتري) فنجد (طه أحمد إبراهيم) يطرح سؤالا " هل بإمكان الناقد أن يكون موضوعيا لا يتأثر نقده بميوله؟ ثم يجيب عن تساؤله بقوله: يجب أن نعلم أن الناقد لا يستطيع أن يكون موضوعيا بحتا، لأنه لا يرى في الكلام المنقود إلا نفسه وصورته ".[4] فهو يحكم على (الآمدي) بعدم التعصب (للبحتري) في تفضيله على (أبي تمام) (فالآمدي) في نظره يتماشى مع الذوق السليم بدليل أنه أنصف (أبا تمام) في عديد المرات.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 153.
2- المصدر نفسه ن ص.
3- م ن، ص154
4- م ن ، ص 155.

أما (مُحَمَّد مندور) فقد فصل في هذه القضية فقد حدد ماهية التعصب فقال: | " معناه النفسي هو الانحياز كلية إلى ما نتعصب له فلا ترى فيه إلا الخير ونقلب سيئاته حسنات مسوقين بالهوى متحملين الأسباب لتجميل القبيح والمبالغة في قيمة الحسن، وهذه حالة نفسية لا وجود لها في كتاب (الآمدي) لا صراحة ولا من وراء حجاب ".[1] فهو بهذا التعريف يزيل التهمة عن (الآمدي) في تعصبه "للبحتري" ضد (أبي تمام)، (فالآمدي) يتبع منهجا محكما في نقده بحيث اعتمد الذي يعتبر المرجع النهائي في كل نقد.[2]

يقول: " بالرجوع إلى كتاب الموازنة نفسه نجد أن المؤلف لم يتعصب للبحتري ضد أبي تمام، وإنما هذه تهمة اتهمه بها النقاد اللاحقون عندما فسد الذوق وغلبت الصنعة والتكلف على الأدب العربي، ونظر هؤلاء الأدباء المتأخرون في بعض انتقادات الآمدي لسخافات أبي تمام ووساوسه ولم يوافقوا وهذا ظلم يجب أن نصلحه ".[3]

وبهذا أخرج (مُحَمَّد مندور) (الآمدي) من دائرة التعصب وذلك لأن (الآمدي) أنصف في موازنته.

أما (إحسان عباس) فله رأي آخر في القضية، فهو يرى أن (البحتري) تعصب ضد (أبي تمام) من قبل (الآمدي) بعدها يقول:" وليس من في أن الآمدي كان يؤثر طريقة البحتري ويميل إليها، ومن أجل ذلك جعلها (عمود الشعر) ونسبها إلى الأوائل، وصرح بأنه من هذا الفريق...والمطبوعين

وأهل البلاغة لا يكون الفضل عندهم في الإلمام بالمعاني وأخذ العفو منها كما كانت الأوائل تفعل مع جودة السبك وقرب المأتى، والقول في هذا قولهم وإليه أذهب ".[4] كما أكد (إحسان عباس)

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 155.
2-ينظر، المصدر نفسه، ص، ن.
3- م ن، ص 156.
4- م ن، ص 157.

موقفه هذا بنماذج من التراث النقدي وسجل بعض الملاحظات للتأكيد على تعصب (الآمدي) ضد (أبي تمام) ومنها:

1-اعتراف (الآمدي) بشاعرية (أبي تمام) وحسن غوصه في المعاني دون أن يفرد له فصلا في كتابه.

2-إكثاره من التعليقات الجارحة بانفعال كبير وضيق نفس كقوله في (أبي تمام) :" وقوله: أن من عق والديه لملعون البيت ".[1]

3-ينسب العديد من الآراء لسواه مع أنه قد يكون هو صاحب ذلك الرأي.

المحور الثاني: قضية السرقات الشعرية لدى عبد العزيز الجرجاني في تقويم النقاد المحدثين:

موضوع السرقات الأدبية من أهم الموضوعات التي أولاها النقاد كثيرا من عنايتهم، وخصوها بمزيد من اهتماماتهم ولعل هذا الموضوع كان من أبرز الموضوعات التي عالجها النقد العربي في قديمه وحديثه، إذ كان من أهم الأهداف النقدية الوقوف على مدى أصالة الأعمال الأدبية المنسوبة إلى أصحابها ومقدار ما حوت من الجدة والابتكار أو مبلغ ما يدين به أصحابه لسابقيهم من التقليد

أو الاتباع، ويعود اهتمامهم بهذا الموضوع إلى ما يلي:

1-الطبيعة البشرية تخضع لقانون الوراثة في مختلف مناحي الحياة العلمية والفنية.

2-العزلة التي تميز بها العرب جعلتهم يتحركون داخل نطاق شعرهم التقليدي أما في العصر العباسي فقد عاش موجة تحررية لكنها كانت قاصرة.[2]

3-بقي الاهتمام بالشعر القديم إلى أن جاء (أبو تمام) ثار أنصاره ضد القديم فكانت الخصومة، فما كان من أنصار القديم إلا الاسراف في الاتهام بالسرقة ومحاولة إثباتها.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 157.
2-ينظر، المصدر نفسه، ص 162.

4-تعسف النقاد واللغويين الذين اعتبروا الخروج عن القدماء خروجا عن عمود الشعر مما جعل الشعراء يتبعون نهج القدامى والسرقة لإرضاء نقادهم.[1]

5-اهتم المحدثون بما يشترك فيه الناس كالبديع واعتباره سرقة وما اشترك فيه الناس كان خارج دائرة السرقة.

إلى جانب هذه الأسباب التي ذكرتها الكاتبة، نذكر أسباب أخرى غير فنية:

أ-حب الشهرة لبعض النقاد فالبعض يجعل من سائر شعر (أبي تمام) ثلاثة معاني مخترعة فقط.

ب-اتهام الشعراء بالسرقة ومثال ذلك ما فعله (الحاتمي) مع (أبي الطيب المتنبي) وتذكر بعض نماذج السرقة بداية مع (امرؤ القيس) :

وُقُوفًا بِها صَحْبِي على مِطِيِّهِمْ يَقُولُونَ لا تَهْلَكْ أَسًى وَ تَجَمَّلِ

قد أخذه (طرفة بن العبد) فقال:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي على مِطِيِّهِمْ يَقُولُونَ لا تَهْلَكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ

وقد ذكر (أبو هلال) أن بيت (النابغة الذبياني) الذي يقول فيه:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمْسُ طَالِعَةٌ لا النُّورُ نُورٌ ولا الإِظْلَامُ إِظْلَامُ

مأخوذ من قول (وهب بن الحارث بن زهرة) حيث يقول:

تَبْدو كَوَاكِبُهُ والشَّمْسُ طَالِعَةٌ تَجْرِي على الكَأْسِ مِنْهُ الصَّابُ المقَرَّ[2]

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 162.

1- ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، 164.

وهذه الأبيات تدل على أن السرقات وجدت في العصر الجاهلي، ويعد (طرفة بن العبد) أول من ذم السرقات بقوله:

رغم هذه التجاوزات لم يخل الزمن من نقاد استطاعوا تمييز الأدب ورده إلى أصحابه انطلاقا من طبيعة أدبهم وتفكيرهم، ويعد (مُحَمَّد بن سلام الجمحي) أول المشيرين إلى مسألة السرقات، فقد ذكر نماذج من السرقات في العصر الجاهلي وقال بأن اختلاف الرواية قد يؤدي إلى السرقة ومن ذلك ما ذكره الرواة من أن (النابغة الجعدي) (أنشد الحسن بن علي) قوله:

الحَمْدُ لِلَّهِ لا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقُلْهَا فَنَفْسَهُ ظَلَمَا

فقال له: يا أبا ليلى ما كنا نروي هذه الأبيات إلا لأمية بن أبي الصلت فقال: يا ابن رسول الله : والله إني لأول الناس قالها: وإن السروق من سرق أمية شعره).[1]

كما نجد (ابن قتيبة) الذي لم يخرج عن ما جاء به (ابن سلام) إلا أنه تنبه أن زيادة الأخذ على المعنى المأخوذ تتيح له فضل الزيادة فقال:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ على لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

حتى قال (أبو نواس):

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ[2]

فسلخه وزاد فيه معنى آخر، اجتمع به الحسن في صدره وعجزه فللأعشى فضل السبق إليه ولأبي نواس فضل الزيادة فيه. و إضافة إلى ذلك نجد (ابن طباطبا) بهذا الصدد يضع قواعد السرقة الحسنة التي تتمثل في:

2- المصدر نفسه ، ص 166.

3-م ن، ص 167.

1-إطلاق الحيلة.

2-التدقيق في تناول المعاني واستعارتها.

3-تلبيسها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها.

4-استعمال المعاني في غير الجنس الذي تناولها منه الشاعر.

5-تناول المعنى اللطيف في المنثور وجعله شعرا.

ويستدل (ابن طباطبا) لتأكيد ذلك بإجابة (العتابي) حين سئل: بماذا قدرت البلاغة؟ فقال: بحل معقود الكلام، فالشعر رسائل معقودة والرسائل شعر محلول".[1]

يميز الصولي ثلاث أنواع من السرقة وهي سرقة اللفظ، وسرقة المعنى، وسرقة اللفظ والمعنى.وإلى جانب (الصولي) نجد (الآمدي) يحدد بعض المقاييس لتمييز السرقات وتمثل فيها مايلي:

1-السرقة تكون في البديع والجديد لا في المعاني التي تشترك فيها الناس أو الألفاظ المتداولة والأمثال السائرة.

2-الألفاظ المباحة غير محظورة مادامت مفردة.

3-تباعد الشاعرين في البيئة يجعلهما متفقين في كثير من المعاني.

4-كثرة محفوظ الشاعرين.

لمحة عن كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه:

أثار (المتنبي) في القرن الرابع الهجري حركة نقدية، حيث اختصم الناس حول شاعريته وانقسموا إلى خصوم وأنصار فظهرت عديد المؤلفات في عصره أهمها كتاب (الوساطة) للقاضي الجرجاني الذي

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 168.

اعتبره (طه أحمد إبراهيم) مختصا بشعر (المتنبي)، لكن الكتاب يعرض الأحوال الأدبية التي عرفت في عصره، وحلل أشعار القدماء والمحدثين، كما أثار فيه صاحبه البيئة وأثرها على الشعر والشعراء فقد رأى أن البداوة تحدث جفوة في الطباع والحضارة تحدث سهولة ورقة، كتاب (الوساطة) عبارة عن مقالة واحدة لا أبواب ولا فصول فيها، لكن المتمعن يجد أن الكتاب مقسم إلى ثلاثة أقسام:[1]

القسم الأول: عبارة عن مقدمة بين فيها ما يجب على أهل العلم والأدب نحو بعضهم البعض من الانصاف والعدل فقد انقسم الناس في رؤيتهم (للمتنبي) إلى فئتين:

1-مطنب في تقريضه.

2-عائب يروم إزالته عن منصبه.

فالموقف الأول و يعصمه من الخطأ في حين أن الموقف الثاني يخرجه من نطاق الأدباء ويتطلب هذا التناقض وجود موقف ثالث يسمى (أهل الاعتذار)، وهو الدور الذي قام (القاضي الجرجاني) في توفيقه بين الأنصار والخصوم باعتباره "رجل ...يجب أن يأخذ بأسباب النزاهة"[2].فقد بدأ مناصفته بالتأكيد على الخطأ واللحن، ثم يأتي إلى الشعر فيقر أنه علم من علوم العرب، فهو يختلف باختلاف تراكيب الخلق، ثم أشار إلى العلاقة الموجودة بين الأديب أو الشاعر وبيئته، وهذا ما يخلق التفاوت بين الشعراء –في رأيه– ويتحدث بعد ذلك عن الطبع والصنعة ثم يقارن بينهما ليعطي الأفضلية للطبع عن الصنعة كما تكلم عن الاستعارة والتشبيه والجناس والطباق، والتقسيم والتقطيع، وجمع الأوصاف والتفقيه والتصحيف، ثم يختم هذه المقدمة بحث الشعراء على تحسين الاستهلاك والتخلص والخاتمة، لأنها هي الأركان الحساسة في القصيدة.[3]

القسم الثاني: من ص 49 إلى ص 434، يعرض فيه قضية (المتنبي) ويصنف خصومه إلى صنفين:

1-ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 173.
2-المصدر نفسه ص 174.
3-ينظر، م ن، ن ص .

1-صنف يذم الشعر.

2-صنف يؤمن بالشعر المحدث إيمانه بالشعر القديم لكنه لا يعطي (المتنبي) حقه، هذا ما دفع (الجرجاني) إلى إثبات الوجود الأدبي لشعر (المتنبي).[1]

يعلق (مُحَمَّد مندور) قائلا: " والواقع أن المتنبي لم يصدر إلا عن طبعه هو، فشعره ليس شعرا مصنوعا، وهو قد خلا إلا في قليل من تكلف أبي تمام ومسلم بل ومن سهولة البحتري التي هي الأخرى وليدة فن شعري بعينه كما سنرى شعر المتنبي أصداء لحياته ونغمات نفسه...شعر أصيل قد حطم المذاهب واستقل دونها جمعا ".[2]

القسم الثالث: يقوم فيه بالمناقشة فيحاور فيه (الجرجاني) ما عاب به النقاد شعر (المتنبي) (من ص 434 إلى آخر الكتاب) وقد تضمن هذا القسم ما يسمى (بالنقد الموضوعي) أو (النقد المنهجي) يقول عنه "مُحَمَّد مندور" : " وأما القسم الثالث من كتابه فهو كما قلنا خير ما كتب، وذلك لما فيه من مناقشات تفصيلية ونقد موضوعي دقيق، وهو جدير بأن يسمى بالوساطة بين المتنبي وخصومه ".[3]

اعتمد "الجرجاني" في وساطته على أسلوب الخطاب والحوار مع خصوم "المتنبي"، فقد تحدث كمناصر لا كخصم يقول في ذلك :" ولعلك إذا رأيت هذا الجد في السعي والعنف في القول تقول: إنما وقفت موقف الحاكم المسدد وقد صرت خصما مجادلا، وشرعت شروع القاضي المتوسط، أراك حربا منازعا، فإن خطر ذلك ببابك وحدثتك به نفسك فأشعرها الثقة بصدقي

1-ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص، 174.
2- المصدر نفسه، ص 175.
3- م ن، ص 176.

وقرر عندها إنصافي وعد لي، واعلم أني رسول مبلغ وسامح مؤد، وأني كما أناظرك أناظر عنك وكما أخاصمك أخاصم لك ".[1]

السرقات الشعرية لدى الجرجاني في تقويم النقاد المحدثين:

خصص (عبد القاهر الجرجاني) فصلا مطولا عن السرقات والسبب الذي دعاه إلى معالجة هذه القضية رأي خصوم (المتنبي) يدّعون عليه السرقة ويزعمون أنه عمد إلى شعر فغير ألفاظه ونظمه وأنه إن زاد على ما أخذ أو تجاوز قليلا اضطر إلى تعقيد اللفظ. ويمكن تلخيص رأي (الجرجاني) في السرقات ومنهجه في دراستها:

-السرقة باب عسير لا ينهض به إلا ناقد بصير، وليس كل من تعرض له أدركه واستوفاه حقه.

-قضية السرقة قديمة، حيث أن الشاعر لازال يستعمل ويعتمد على ألفاظ ومعاني غيره.

-يرى أن أهل عصره ومن بعدهم معذورون وذلك لاستنفاذ المعلني من طرف القدامى[2].

يقول (الجرجاني) : " ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه إما في لفظه ونظمه أو ترتيبه وتقسيمه أو معناه أو إعرابه؟ ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم، وعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام والحجة لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مترذلة، ومردودة منفية لكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم، ونفى الظن عنهم فذهب الخواطر في الذم عنهم كل مذهب، وقامت في الاحتجاج كل مقام ".[3] ورتب عن ذلك القاعدة الأتية: " إذا وجدت في شعره –أي الشاعر- معاني كثيرة أوجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذا لا أثبته بعينه، ومسروقا لا يتميز لي من غيره، وإنما أقول:

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 177.
2- المصدر نفسه ص ،178.
3- م ن ص 178.

قال فلان كذا، وقد سبقه إليه فلان فقال كذا كذا، فأغتنم به فضيلة الصدق وأسلم من اقتحام التهور ".[1] إضافة إلى ذلك دافع عن الشاعر المحدث فقال: " فإن وافق بعض ما قيل أو اجتاز منه بأبعد طرف قبل سرق بيت فلان، وأغار على قول فلان، ولعل ذلك البيت لم يقرع قط سمعه، ولا مر بخلده، كأن التوارد عنهم ممتنع، واتفاق الهواجس غير ممكن ".[2]

-يرى (الجرجاني) أن الناقد الحق هو الذي يستطيع التمييز بين أقسام وأصناف السرقات، ومن أنواع السرقة الشعرية:

1-**توارد الخواطر**: اتفاق شاعرين معاصرين في المعاني وكل الألفاظ دون قصد ومثال ذلك قول (طرفة وامرؤ القيس) فيما سبق من شعر.

2-**السرق**: اكتفى "الجرجاني" بذكر بعض الأمثلة منها: قول (أبي تمام):

وَمَا سَافَرْتُ فِي الآفَاقِ إِلاَّ وَمِنْ جَدْوَاكِ رَاحِلَتِي وَزَادِي

وقد أخذه (أبو الطيب) فقال:

مُحِبُّكِ حيثما اتَّجَهَتْ رِكَابِي وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتَ مِنَ البِلادِ[3]

وقد عده من أقبح السرقات لأنه اتفاق في المعنى والوزن والقافية.

3-**الغصب**: يختلف عن السرق بأن الشاعر يأخذ بيت غيره بالإكراه مثل ما فعل (الفرزدق) عند سماعه "جميلا" ينشد:

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إلى النَّاسِ وَقَفُوا

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 178

2- المصدر نفسه ص 179.

3- ينظر م ن ن ص

فقال: أنا أحق بهذا البيت فأخذه غصبا.[1]

4-**الاختلاس**: هو أخذ المعنى ونقله إلى غرض جديد وتغيير الوزن والروي والقافية فقد أخذ (أبو نواس) قول (جرير):

بَعَثْنَ الهوَى ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَسْهُمٍ أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صَدِيقُ

فقد نقل الغزل إلى الزهد.

5-**الإلمام**: وهو أخذ المعنى وبعض اللفظ ومثال ذلك ما قاله البعض:

إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي نَوْمِي تُعَانِقُنِي كَمَا تُعَانِقُ لَامُ الكَاتِبِ الأَلِفَا

وألم به "أبو الطيب" فقال:

دُونَ التَعَانُقِ نَانحلين كَشَكْلَتِي نَصْبٌ أَدُقُّهُمَا وَضَمَّ الشَّاكِلُ[2]

6-**الملاحظة**: هي التقليد والمحاكاة في طريقة التفكير والتغيير.

7-**التناسب**: هو الجمع بين الإلمام والملاحظة في شيء من المساواة.يقول (أبو هفان):

أَنَا السَّيْفُ يَخْشَى حَدَّهُ قَبْلَ هَزِّهِ فَكَيْفَ وَقَدْ هُزَّ الحُسَامُ المهَنَّدُ

وقال (البحتري):

وَيَخْشَى شَذَاهُ وَهُوَ غَيْرُ مُسَلَّطِ وَقَدْ يَتَوَقَّى السَّيْفُ وَالسَّيْفُ فِي الغِمْدِ[3]

فمعنى هذه الأبيات في رأي "الجرجاني" متناسبة حتى وإن اختلفت المعارض والأمثلة فيها.

1 - ينظر بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 180

2 - ينظر المصدر نفسه ن ص

3 - ينظر م ن ص 181.

8–**احتداء المثال**: أن يأخذ الشاعر بمذهب غيره في التفكير أو التعبير.

9–**القلب**: هو النقض (ضد وعكس) ويعده (الجرجاني) من السرق اللطيف ومثاله قول (أبي الطيب):

أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ المِلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعدَائِهِ

فقد نقض به قول (أبي الشيّص):

أَجِدُ المِلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلُمْنِي اللَّوْمُ[1]

10–**تغيير المناهج والترتيب**: إذا استثنينا أمثلة الغصب وبعض أمثلة السرقة وتوارد الخواطر، فكل ما بعدها تغيير ولا شك في النص الذي لاحظ المتأخر أو احتذاه.

11–**النقل**: هو نقل المعنى من غرض إلى غرض آخر، كأن ينقل شاعر بيتا من النسيب إلى المدح، أو من الهجاء إلى الفخر، يقول (لبيد ابن ربيعة):

وَمَا المالُ وَالأَهْلُونَ إِلاَّ وَدَائِعُ وَلاَبُدَّ يَوْمَا أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ

وقول (الأفوه الأودي):

إِنَّمَا نِعْمَةُ قَوْمٍ مُتْعَةٌ وَحَيَاةُ المَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارُ[2]

علق (الجرجاني) على هذه الأبيات أن الأول ذكر الحياة والثاني ذكر المال والولد، فهذه المصطلحات التي أوردها "الجرجاني" لم يعرفها بل اكتفى بإيراد الأمثلة وربما كان ذلك لتداولها في ذلك العصر.

1– ينظر بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 182

2– المصدر نفسه، ص 183

-تكون السرقة في المعاني المفردة، فلا ينفرد أحد عن الآخر بالمفردات فالتشبيهات عنده صنفان: صنف مشترك عام لا ينفرد به الشاعر دون غيره، وصنف سبق المتقد إليه ففاز به، ثم تداوله بعده فكثر وصار كالأول كما في تشبيه الطلل بالكتاب والفتاة بالغزال في جيدها.[1]

-لا تكون السرقة في الأسماء والأماكن.

-الألفاظ المشهورة لا تكون فيها السرقة. يقول الشاعر:

تَرَى العَيْنَ تَسْتَعْفِيكَ مِنْ لَمَعَانِهَا وَتَحْسِرُ حَتَّى مَا ثَقُلَ جُفُونُهَ

فقد زعم أنه مسروق من قول (الأبيرد):

وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي الإِلَهَ إِذَا اشْتَكَى مِنَ الأَمْرِ لِي فِيهِ وَإِنْ عَظُمَ الأَمْرُ

صنف (الجرجاني) السرقة إل نوعين: مذمومة وممدوحة.

أ-السرقة المذمومة: اتفاق المعنى والوزن والقافية وهي من أقبح السرق.

يقول (أبو تمام):

وَمَا سَافَرْتُ فِي الآفَاقِ إِلاَّ من جذواك راحلتي و زادي[2]

وتنقسم هذه السرقة إلى قسمين ظاهرة وخفية.

أما السرقة الخفيفة فيتمثل لها بقول (لبيد) السابق الذكر.

يعلق (مُحَمَّد مندور) قائلا: " ومثال ذلك مما نرى أن الجرجاني قد وقع معه في الإفراط خوفا من

1 - بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص، 185

2 – المصدر نفسه، ن ص..

التفريط ".[1] فقد حذر (الجرجاني) الناقد من التفريط وهذا ما دفع (مُحَمَّد مندور) إلى أن يستنتج أن (الجرجاني) لم يستطع أن يفلت مما تورط فيه غيره من إظهار المهارة الكاذبة في تتبع سرقات موهومة والكشف عنها كشفا لا يذل على أنهم يحفظون الكثير من الشعر في الفنون المختلفة".[2]

-السرقة الحسنة: هي اختصار المعنى على نحو قول (أبي دهبل الجمعي) :

وَكَيْفَ أَنْسَاكَ إِلاَّ أَيْدِيكَ وَاحِدَةً عِنْدِي وَلاَ بِالَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ قَدَمِ

فهو "للنابغة" حين قال:

أَبَى غَفْلَتِي أَنِّي إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ تَحَرَّكَ حُزْنٌ فِي حَشَا الجَوْفِ دَاخِلٌ

وَإِنْ تَلَادِي إِذْ نَظَرْتُ وَشِكَّتِي وَمُهْرِي وَمَا ضَمَّتْ إِلى الأَنَامِلُ

حِبَاؤُكَ وَالعِيسُ العِتَاقُ كَأَنَّهَا هِجَانُ المهَا تُرْدِي عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ

فقد اختصر أبيات "النابغة" في بيت واحد.

لم يضف (الجرجاني) لما جاء به (الآمدي) سوى أنه حدد ما عممه (الآمدي) وفصل فيه أما ما انفرد به عن (الآمدي) أنه لم يذم السرقة وأوجب الاعتذار للمحدثين لأن القدامى استغرقوا المعاني وسبقوا إليها.

ترى بشرى عبد المجيد أن الأخذ يجب أن يطبع بطبع خاص من قبل الآخذ وأن لا يظهر ذلك.[3] ثم سجلت ما جاء به كل من (طه أحمد إبراهيم) و(مُحَمَّد مندور) و(إحسان عباس) و(مُحَمَّد غنيمي هلال) فيما يلي:

أ-أن دراسة (الجرجاني) جاءت في عصر كان قد تشبع بالسرقات وانتقل إلى الوساطة بين المتنبي الذي اشتغل به الناس.

1- ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 186.

2-ينظر، المصدر نفسه، ن،ص.

3-م ن ، ص 188.

ب- وجد نفسه في خضم معركة كبرى أساسها قضية السرقات لذا خصها من كتابه بأوفى نصيب.[1]

ج-السرقات عند "الجرجاني" باب خطير لا يقدر عليه إلا القلة.

د-يحتاج الناقد إلى إعمال الفكر في السرقات قبل إصدار حكمه على الشاعر وهذا الاتفاق بين النقاد المحدثين لا يمنع وجود اختلاف بينهم، (فطه أحمد) لم يبد رأيه أثناء عرضه للمشكلة أما (مُحَمَّد مندور) فقد بقي متمسكا بما تبناه في البداية، فهو يرفض النظر في الأفكار الجزئية ذات النفس النقدي الموروث عن العهد الجاهلي وما بعده إلى غاية (ابن سلام الجمحي) ويؤكد رأيه بقوله: " ونحن لا نريد أن نقف عند الملاحظات الجزئية التي نجدها في كتب الأدب أمثال (الشعر والشعراء) و(الأغاني) أو عند ما اتهم به الشعراء (كجرير) و(الفرزدق) أو (بشار) أو (أبي تمام) ومعاصريه وبعضهم من سرقة، فتلك أخبار تاريخية خط النقد فيها ضعيف ولذلك نغادرها إلى النظر في دراسة السرقات دراسة منهجية ".[2]

أما عن (مُحَمَّد غنيمي هلال) فهو لم يتناول مبحث السرقة بل أحال إلى بعض المصادر التي قامت بدراسة تحليلية وذلك بقوله:" ولا مجال هنا لتفصيل القول فيه —موضوع السرقة- ابن رشيق: العمدة الجزء الثاني الصفحة 215-226 وقراضة الذهب طبعة القاهرة 1926م).وفيها كلها يعالج موضوع السرقة ثم راجع الفصل الثاني من الجزء الثاني من رسالة الدكتور (مُحَمَّد مندور) (النقد المنهجي عند العرب)".[3]

1-ينظر، ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 189.

2-ينظر المصدر نفسه، ص 189،190.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 190 189،.

فإحالته إلى هذه المصادر تدل على تأييده لها وأن رأيه من رأيها ثم يعطي رأيه فيقول:" هذا إلا أن دراستهم للسرقات بعامة لم تجر إلا في أفق ضيق وعلى منهج غير قويم ".[1]

أما (إحسان عباس) فقد كان بعيد النظر في النقد العربي القديم، وخاصة في موضوع السرقة بمنهج علمي دقيق أساسه الحكم على الشيء بما فيه وما عليه، في بعد عن الانحياز والاستمالة متوخيا الإنصاف والعدل.لا أدل على ذلك من أن إحسان عباس كان يعرض المادة كما سطرتها النصوص النقدية القديمة دون أن يسأل: لماذا وكيف؟.[2]

كما يرى (طه أحمد إبراهيم) أن الدراسة المنهجية للسرقات من طرف النقاد لم تظهر إلا بظهور (أبو تمام) وأيده في ذلك (مُحَمَّد مندور) فقال:" والذي تظنه هو أن دراسة السرقات دراسة

منهجية لم تظهر إلا عندما ظهر أبو تمام وذلك لأمرين:

1-قيام خصومة ضد أبي تمام فقد كانت السرقات عبارة عن سلاح للتجريح من طرف الخصوم.

2-ادعاء الأنصار بأن أبا تمام اخترع مذهبا جديدا دفع بالخصوم إلى الرد من خلال السرقات أي استعمال وأخذ أشعار القدامى ".[3]

ثم إن تأكيد (طه أحمد إبراهيم) و(مُحَمَّد مندور) على عدم استعمال (ابن قتيبة) للفظ السرقة تأكيد لابد من رده فقد استعمل لفظ (السرقة) وألفاظ تدل عليها (كالأخذ و السلخ) وذلك حين ذكر بيت (امرؤ القيس):

لَهُ أَيْطَلَا ضَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءُ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَثْفُلِ

قال: وقد تبعه الناس في هذا الوصف وأخذوه ولم يجتمع لهم ما اجتمع له في بيت واحد وكان

2-المصدر نفسه، ص، ن.

3-ينظر، م ن، ن ص.

4-ينظر، م ن، ص 191.

أشدهم إخفاء لسرقة القاتل، وهو (المعدل بن عبد الله).[1]

إن ما كان غائبا هو لفظ "المنهجية" حسب (مُحَمَّد مندور) فهو مصطلح حديث أوحت به الدراسات الحديثة أما (المنهجية) كممارسة فعلية فقد كانت حاضرة، ويرى (مُحَمَّد مندور) أن نشأة تلك الدراسات التي جعلت من السرقة الأدبية موضوعا لها وسط الخصومات، كان لها أثر سيء في توجيهها[2] وذلك لأنها تميزت بما يلي:

1-**الاستحياء**: هو الإتيان بمعاني جديدة فيما كتب الغير تستدعيها مطالعاته.

2-استعارة الهياكل: أخذ موضوع قصيدة أو قصة عن أسطورة شعبية أو خبر تاريخي وينفث فيه الحياة.

3-**التأثر**: هو أخذ الشاعر أو الكاتب بمذهب غيره في الفن أو الأسلوب ولقد يكون كما قد يكون عن غير وعي، وإنما النقد هو الذي يكشف ذلك عنه.[3]

4-**السرقات**: يأتي (مُحَمَّد مندور) بمفهومين جديدين يجب أن يميزهما الناقد قبل أن يحكم على الكاتب أو الشاعر بالسرقة، ثم يحكم على "القاضي الجرجاني" ويعتبره لم يأت بجديد في موضوع (السرقة الأدبية) فهو يحتل المرتبة الثانية بعد (الآمدي) وذلك لأن معظم آرائه العامة عن الحقائق الأدبية قد سبقه إليها صاحب الموازنة الذي نظنه أثر في (الجرجاني) تأثرا قويا ".[4]

الفصل الثالث:

1-ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 191..

2-ينظر، المصدر نفسه، ص 192.

3-ينظر، م، ن، ص، ن.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 194.

المحور الأول: قضية الوحدة العضوية للقصيدة العربية في تقويم النقاد المحدثين "ابن طباطبا" نموذجا:

تعني الوحدة العضوية للقصيدة الوحدة في العمل الأدبي، أي أن يكون بنية حية تامة في البناء ويعرفها (مُحَمَّد غنيمي هلال) بقوله:" نقصد بالوحدة العضوية في القصيدة وحدة الموضوع ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبا به تتقدم القصيدة شيئا فشيئا حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر ".[1]

فهي كالجسم مكونة من أعضاء لا يمكن فصل عضو منه أو استبدال مكانه لأن ذلك يخلق تشوها، كذلك بالنسبة للقصيدة تربطها عناصر متداخلة ينسجها الشاعر.

لم تعرف القصيدة العربية القديمة هذه الوحدة العضوية، وذلك راجع للشاعر الذي لم يعرف الحياة المستقرة، فقد كانت البلاد العربية جافة وحارة، قليلة الغيث والزرع إذ كان لهذه الحياة القاسية أثر واضح في الإنتاج الفكري عامة والشعر خاصة، فتناثرت أبيات القصيدة الجاهلية، فلكل بيت استقلالية خاصة إذ يشكل وحدة قائمة بذاته، وفي العصر العباسي ظهرت فئة من الشعراء جاءت في الشعر بمحاسن حازت رضا الشعراء والنقاد واستحسانهم، ومن هؤلاء (أبو تمام)، (ابن الرومي)

(المتنبي)، شغلت قضية الوحدة العضوية للقصيدة النقاد القدامى، فنجد الجاحظ يقول:" وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان ".[2]

2-المصدر نفسه، ص 199.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 201.

خلاصة عن كتاب "عيار الشعر":

ألف "ابن طباطبا" كتاب "عيار الشعر" للإجابة عن سؤال وجه إليه من رجل يدعى (أبا القاسم سعد ابن عبد الرحمن) يقول: "فهمت –حاطك الله– ما سألت أن أصفه لك من علم الشعر والسبب الذي يتوصل له إلى نظمه وتقريب ذلك على فهمك والتأتي لتيسير ما عسر منه عليك وأنا مبين ما سألت عنه وفات ما يستغلق عليك منه إن شاء الله ".[1]

استهل كتابه بتعريف الشعر، وذكر أدواته وكيفية صناعته وهي بداية تقود إلى قضية الألفاظ والمعاني، التي تكشف محنة الشاعر المحدث في الصياغة، ثم ينتقل إلى عرض أنواع الشعر، فيتعرض لسنن العرب التي تثبت عنصر القيمة في هذه الأنواع ويقدم نماذج على ذلك، ثم يختم باتخاذه موقف محدد من غايات الشعر، ثم يقدم نتيجة لهذا الموقف بمجموعة من الأحكام تتصل ببناء القصيدة والمشكلة بين أبياتها.[2]

أعطى (ابن طباطبا) هذا العنوان لكتابة "عيار الشعر" لأنه رغب أن يكون معيارا أو ميزانا يقاس به الشعر، ويوزن ويحكم عليه بما ورد في الكتاب من قواعد ومعايير لذلك، ويتم الحكم على جيد الشعر من رديئه من هذه المعايير:

1–النظرة الثاقبة ذات الوعي السليم، يقول (ابن طباطبا) عن هذا:" وعيار الشعر أن يورد أن الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو واف زما نفاه فهو ناقص ".[3]

ويجعل إدراك ذلك بالحواس، فيرى أن كل حاسة من حواس الجسم تقبل ما يتعلق بها، أما الشعر الصواب الذي يقبله الفهم." إذا كان الكلام الوارد على الفهم متطوما مصفى من كدر العي مقوما من أود الخطأ واللحن سالما من جور التأليف، موزونا بميزان الصواب لفظا ومعنى وتركيبا اتسعت

2– المصدر نفسه، ص 205.

3–م ن، ص 206.

1– بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 206.

طرقه ولطفت موالجه، فقبله الفهم وارتاح له، وأنس به، وإذا ورد عليه على ضد هذه الصفة، وكان باطلا محالا مجهولا انسدت طرقه ونفاه واستوحش عند حسه به، وصدئ له، و تأدى به، كتأدي سائر الحواس بما يخالفها على ما شرحناه...".[1]

فهذا يدل على أن الأسباب التي تدفع العقل الثاقب لقبول الشعر أو رفضه هي:

-اعتدال الوزن.

-صواب المعنى.

-حسن الألفاظ.

أما المعيار الثاني فهو مطابقة الشعر لمقتضى الحال، فإذا جاء الشعر ملائما للموقف الذي قيل فيه كان له أثر بليغ على السامع يقول في ذلك:" ولحسن الشعر قبول الفهم إياه علة أخرى، وهي موافقته للحال التي يعد معنا لها كالمدح في حال المفاخرة، ...وكالهجاء في حال مباراة المهاجي والحط منه حيث يتكئ فيه استماعه له، وكالمواشي في حال جزع المصاب، وتذكر مناقب المفقود عند تأبينه، والتعزية عنه، وكالاعتذار والتنصل من الذنب عند سل سخية المجني عليه، المعتذر إليه، وكالتحريض على القتال عند التقاء الأقران، وطلب المغالب، وكالغزل والنسيب عند شكوى العاشق واهتياج شوقه وحنينه إلى من يهواه ".[2]

ثم معيار اقتراب القصيدة من الرسالة حيث أن القصيدة الجديدة عنده إذا حلت نثرا تبقى قوية المعنى، وذلك في قوله:" من الأشعار أشعار محكمة متقنة أنيقة الألفاظ حكيمة المعاني عجيبة التأليف، إذا نقضت وجعلت نثرا تبطل جودة معانيها، ولم تفقد جزالة ألفاظها ".[3]

2- المصدر نفسه، ص 207.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 208.

2-المصدر نفسه، ص، ن.

الوحدة العضوية لدى "ابن طباطبا" في تقويم النقاد المحدثين:

يعتبر رأي (ابن طباطبا) في الوحدة الفنية للقصيدة أهم الآراء وفي ذلك يقول (مُحَمَّد غنيمي هلال):" لعل أروع ما تنعكس فيه نظرية الوحدة العضوية لأرسطو في النقد العربي هو قول ابن طباطبا (وأحسن الشعر مما ينتظم القول فيه انتظاما) ".[1] فطبيعة الوحدة التي يتحدث عنها (ابن طباطبا) تعتمد على تنسيق الأبيات والوقوف على حسن تجاورها لينسى السامع المعنى الذي يسوق القول إليه، (فابن طباطبا) يرى أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتسق به أوله مع آخره. بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها. كما يستنتج من كلام (ابن طباطبا) أن النقاد لا يلقون بالا إلى وحدة العمل الأدبي بوصفه كلا يتطلب أجزاءه.[2]

ارتكزت بذور النقد لدى (ابن طباطبا) حول قضية الوحدة العضوية على:

1-الحديث عن التلاؤم بين الألفاظ والمعاني وحسن التركيب، فقد شبه الشاعر بالنساج والنقاش وناظم الجوهرة تارة فيقول:" كالنساج الحاذق الذي يفوق وشيه الرقيق الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه، ويشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان، وكناظم الجوهر يؤلف بين النفيس منها والثمين الرائق، ولا يشين عقوده بأن يفاوت بين جواهرها في نظمها وتنسيقها ".[3]

2-دعى إلى العناية بمطالع القصائد وافتتاحها لتكون أقرب إلى ذهن السامع كما دعى أيضا إلى حسن الانتقال من غرض إلى آخر حتى لا تنقطع أجزاء القصيدة.

3 - م ن، ص 210.

4- ينظر م ن ن ص.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 210..

علق "مُحَمَّد غنيمي هلال" على ما جاء به (ابن طباطبا) بقوله:" في هذا يرى ابن طباطبا أن مجرد وصل أجزاء القصيدة على نظامها الجاهلي، في جمعها بين الغزل والمدح، أو وصف الديار والآثار والنوق، وحدة لها، فلا يكون المعنى الثاني مفصلا عما قبله متى تخلص الشاعر إليه تخلصا حسنا،

وإن كان الواقع مغايرا للمعاني التي سبقته، ولا مبرر لجمعهما معا إلا النظام التقليدي، كالجمع بين الغزل والمدح، أو بين الآثار والفيافي والنوق والشكوى و الاستماحة ".[1]

3-أوضح رأيه حول الوحدة الفنية في آخر كتابه في فصل بعنوان (تأليف الشاعر) ودعى الشاعر إلى الاهتمام بتنسيق الأبيات وحسن تجاورها واجتناب الحشو الذي لا فائدة منه.

4-وضع ميزان لوحدة القصيدة وترابطها وهو عدم إمكانية التقديم والتأخير.

5-شبه القصيدة المتكاملة بالرسالة والخطبة المترابطة الأجزاء فكما أن الرسالة المنتظمة لا يمكن أن نقدم فيها ونؤخر من غير إخلال بها فكذلك القصيدة.

6-أوجب أن تكون القصيدة كالكلمة الواحدة في ترابطها وتلاحم أجزائها يقول (إحسان عباس):" تلك هي صورة الوحدة العضوية عند هذا الناقد الذي لا يعرف إلا التأني العقلي الواعي في التقدير والرصف ".[2]

يقول (شوقي ضيف) عن كلام (ابن طباطبا) عن انتظام القول وتنسيق أوله مع آخره:" وكأن ابن طباطبا تنبه في دقة إلى ما ردده —وما يزال يردده- النقاد في عصرنا عن فكرة الوحدة العضوية في القصيدة، بحيث تصبح عملا محكما إحكاما، فلا تخلخل بين المعاني المتعاقبة ولا ممرات ولا

2- المصدر نفسه، ص 211.

3- م ن، ص 212..

خنادق تفصل بينها، إنما انتظام واتساق والتحام حتى تصبح القصيدة كأنها كلمة واحدة ومعنى واحد ".[1]

أما (إحسان عباس) ففي نظره أن الوحدة تكون في البناء حتى وإن تعددت الموضوعات في القصيدة وهي الغاية الكبرى.[2] يرتكز التصميم الذي اقترحه (ابن طباطبا) للقصيدة على:

أ-طابع الوصف الذاتي، وصف فيه منهجه الشخصي الذي سلكه هو في نظم الشعر.

ب-البحث عن حل لأزمة الشاعر المحدث، وهذا ما أكده (إحسان عباس) حين تساءل قائلا: " هل كان هذا وليد طريقة ذاتية في الشعر؟...أكبر الظن أنه كان تعبيرا عن أزمة الشاعر المحدث الذي كان في رأي ابن طباطبا في محنة و (المحنة) على شعراء زماننا في أشعارهم أشد منها على ما كان قبلهم لأنهم قد سبقوا لكل معنى بديع، ولفظ فصيح وحيلة لطيفة وخلابة ساحرة، فإن أتوا بما يقصر معاني أولئك ولا يربى عليها لم يتلق بالقبول وكان المطروح المملول، فإذا شاء هذا الشاعر المحدث أن يأتي بما يحظى بالقبول كان لابد له من التدقيق في الصنعة أضعاف ما كان يمارسه منها الشاعر القديم ".[3]

رصدت الكاتبة قضية الوحدة العضوية بين يدي النقاد المحدثين الذين اهتموا بهذه القضية قد تزايد على إثر ظهور نظرية الخيال، فقد ظهرت دراسات حاولت البحث عن هذه الوحدة في الشعر العربي القديم وأول ما سجلته بشرى عبد المجيد هو اتفاقهم على أن العرب لم يسجلوا في شعرهم

سوى خواطر جزئية مفككة، فلا يتحقق من مظاهر وحدة الوزن ووحدة القافية.[4]

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين.ص 212.

2-ينظر، المصدر نفسه، ص 213.

3- م، ن، ص، ن.

1-ينظر،. بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص213

وهذا في رأي (طه أحمد إبراهيم) مثلهم الأعلى في القصيدة أن تفتتح بالنسيب بذكر الحبيبة والوقوف على ديارها التي أقامت فيها زمنا، ويذهب معه في هذا الرأي كل من (مُحَمَّد مندور) و(إحسان عباس) الذي يقول:" حين نظر النقاد في الموروث الشعري وجدوا القصيدة –أي الطويلة بشكل خاص– معرضا لتفتن الشاعر ".[1]

يعد (مُحَمَّد غنيمي هلال) من بين النقاد الذين أعطوا اهتماما كبيرا لقضية الوحدة العضوية في القصيدة، فهو يرى أن أوائل العرب لم يهتموا بترتيب المعاني فقال:" إنما حفل بها المحدثون منذ العصر العباسي نقادا وشعراء، فأخذوا يهتمون بالبدء والانتقال منه إلى الغرض ثم بالخاتمة، لأنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الإصغاء ".[2] كما اعتبر هذا الأخير أن النقاد العرب لم يأتوا بالجديد بل سايروا الأدباء على ما جرت به تقاليد الجاهلية أو ما قاربها.

وهذا في رأي الكاتبة تعسف، (فمحمد غنيمي هلال) تعسف وعمم الحكم حين قال بانعدام الوحدة العضوية في الشعر الجاهلي فهي تؤمن بأن كل أثر فني ووضعه الخاص به الذي يحتاج من الناقد أن يتتبعه في أمانة وفحص دقيق.[3]كما يرى هذا الأخير أن أفضل من تناول قضية الوحدة العضوية بالدرس والتحليل في النقد العربي القديم (ابن طباطبا العلوي) من خلال قوله:" لم يفطن أحد منهم إلى وحدة العمل الأدبي في القصيدة على النحو الذي نفهمه اليوم، ولهذا لم يتناف بناء القصيدة الجاهلية في فهمهم مع تأليف المعاني في الوحد العامة كما دعا إليها أمثال ابن طباطبا ".[4]

2-المصدر نفسه ، ص 214.

3- م، ن، ص، ن.

4- م ن ، ص 215.

5- م ن ، ص 215.

فالعرب في نظره تأثروا بفكرة الوحدة العضوية التي كشف عنها أرسطو ولكن بشكل مختلف حيث أنهم فهموا أن الوحدة هي حسن وصل أجزاء القصيدة ببعضها.ثم يرجع وحدة القصيدة العضوية متأثرا –إلى مدى بعيد– في إدراكها وتطبيقها بنظرة أرسطو إلى وحدة الملحمة والمسرحية.[1]

وهذا الرأي حسب –بشرى عبد المجيد– يحتاج إلى نظر فقد اهتم "أرسطو" بقضية الوحدة وهو بصدد الحديث عن:

أ–المأساة التي عرفها بأنها محاكاة فعل نبيل تام له مدى معلوم أو مدة محددة وبالتالي يجب أن تكون حكاية متصلة الأجزاء أو الحركات.

ب–عن المحاكاة في الملاحم والتي ترتكز على خرافة درامية تدور حول فعل واحد له بداية ووسط ونهاية وهذه الوحدة تنتج اللذة.[2]

فتطبيق هذا القياس على الشعر الغنائي في أدبنا العربي قديمه وحديثه لا يتناسب مع ما أراده أرسطو فالشعر الملحمي الذي تكون تلك الوحدة العضوية إحدى خصائصه ولا مجال لها في الشعر الغنائي.

المحور الثاني: ثنائية الصدق والكذب:

شكلت مقولتي (أحسن الشعر أصدقه) و (أعذب الشعر أكذبه) مجموعة من التضارب في الآراء، فالصدق في الأدب صدق في التجربة الشعورية، فقد شاعت مجموعة من المصطلحات التي فرقت بين الصدق المعرفي أو الواقعي، والصدق النابع من إحسان الشاعر في التعبير عن معانيه أو رسم الصورة في مخيلته.

1–ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 216.

2–ينظر، المصدر نفسه، ص، ن.

اختلفت آراء ومواقف الشعراء من الصدق والكذب فيجعل بعضهم الصدق مقياس جودة الشعر وحسنه والآخر لا يبالي بالكذب فيه.

نظرة موجزة عن كتاب "نقد الشعر":

يقسم (قدامة) الكلام في النقد إلى أقسام، فمنها ما اهتم به العلماء ومنها ما استعصى عليهم، أما ما أُهمل فهو نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه، فلم تؤلف فيه كتب ولم توضع له قواعد.[1]

فوضع هو كتاب يقودهم إلى اليقين حين يقول:" ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة".[2] ثم أبان (قدامة) في بداية كتابه عن الحافز الذي أملى عليه تصنيفه هذا:

أ–غير مباشر: استجابة الفكر العربي الإسلامي للثقافات الأخرى محاولة الاستفادة من التراث اليوناني، يقول (إحسان عباس):" استكمال (قدامة) لمراحل المنطق الأرسطي هو الذي جعله يقوم بتأليف كتابه (نقد الشعر).

ب**–مباشر**: أحاديث النقاد في هذا المجال كانت تعمها الفوضى فرأى أن يضع لهذا العلم قاعدة ضابطة ومنهجا صائبا يبعده عن الفوضى فقد رأى أن أول ما يحتاج إليه في شرح هذا الأمر "معرفة حد الشعر الحائز عما ليس بشعر". والشعر يتألف من عناصر: الوزن، المعنى، والقافية، فلن تتكون أسباب كل من الجودة والرداءة في غير هذه المكونات، لكنه رأى أن هذه المكونات تأتلف فيما بينها فتنتج عنها أسباب أخرى، وهذه الائتلافات أربعة هي:

1–ائتلاف اللفظ مع المعنى.

1–ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 229.

2– المصدر نفسه، ص 231.

2-ائتلاف اللفظ مع الوزن.

3-ائتلاف المعنى مع الوزن.

4-ائتلاف المعنى مع القافية.

ثم انتقل للحديث عن نعوت الجودة ووزعها على عناصر الشعر مفردة ومركبة وتكلم عن أنواع نعوت المعاني، وفي ذلك يتساءل (طه أحمد إبراهيم) قائلا:" أ وليس الذي أوردناه روحا جديدة في النقد؟.أ وليس هذا الحصر المنطقي العنيف صدى لثقافة لا تكاد تمت بسبب إلى التراث العربي؟.طالما أتعب الشعر ناقديه، وهاهو ذا رضخ واستكان فلن يغيب فيه حسن، ولن يند فيه قبح، ولن يضل ناقد في الحكم عليه، فإن كان ما سبق أسس بأشكاله وصوره، فإن قدامة يظن

علينا بما يحصي زفرات الشعراء إذا تصعدت، وخفقات قلوبهم إذا اهتاجت، وحركات أذهانهم وأرواحهم إذا سبحت في الملوك".[1] كما تحدث عن عيوب الشعر ووجوه رداءته وابتدأ الكلام عن عيوب اللفظ، تحدث في عيوب المعاني (عيوب المديح، الهجاء، الثناء والتشبيه والوصف والغزل). والمتصفح لكتاب (نقد الشعر) يقف على أنه بناء هيكل منطقي تصوره (قدامة) بعقله، أما عن منهجه فقد تمثل في:

أ-**منهج تعليمي** غلب عليه الأسلوب التقريري.

ب-**منهج عقلي** تجلى في وضع القواعد ورسم طريقها للذين يخوضون في الفن الشعري أي النقاط التي يبدأ منها النظر في الشعر.[2]

ج- **منهج فلسفي** تمثل في الإكثار من الرسوم التي استمدها من الأدب اليوناني عامة و (فن الشعر)لأرسطو بصفة خاصة.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 231.

2-ينظر، المصدر نفسه، ص 232.

أما عن أهمية هذا الكتاب تمثل في كونه "أول بحث من نوعه في تاريخ الدراسات الأدبية في اللسان العربي، وقد كان من أهم الأسباب التي دعت معاصري (قدامة) ومؤرخيه إلى الإشادة بذكره ونعته بالبلاغة والانفراد بالنقد، والقدرة على دراسة الشعر، حتى وصفوه بأنه الإمام المقتدى به في هذا الشأن".[1]

قضية الصدق والكذب لدى قدامة بن جعفر في تقويم النقاد المحدثين:

يعتبر (قدامة بن جعفر) مسألة (الصدق والكذب) من القضايا النقدية إلا أنه لم يستقر على مذهب واحد، فقد اعتبر البعض الأبيات التي فيها غلو من العيوب، كما عابوا خلوها منه، ومن ذلك ما قاله (النابغة) عن (حسان بن ثابت) في قوله:

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

فقد نقد (النابغة) قول (إحسان) (الغر) فكان الأفضل على (حسان) أن يقول (البيض) –حسب النابغة– لأن (الغر) بياض قليل في لون آخر كثير، وفي قوله: (يلمعن بالضحى) ولو قال:(تجرين) لكان أحسن.[2]

علق (قدامة) على هذا قائلا:" فلو أنهم يحصلون مذاهبهم لعلموا أن هذا المذهب في الطعن على شعر حسان غير المذهب الذي كانوا معتقديه له من الإنكار على مهلهل، والنمر، وأبي نواس، لأن المذهب الأول إنما هو لمن أنكر العلو والثاني لمن استنجاده ".[3]

(فالنابغة) حسب رأيه لم يرد من "حسان" إلا الإفراط والغلو بتصيير مكان كل معنى وضعه ما هو فوقه وزائد عليه، فمن يمعن النظر حسب –بشرى عبد المجيد– يرى أن "النابغة" مخطأ في أحكامه

1-ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، ص 233.

2-ينظر، المصدر نفسه، ن ص.

3- م، ن، ص، 234.

وأن (حسان بن ثابت) مصيب لأنه طابق المعنى، فقد أراد (حسان) بقوله (الغر) المشهورات كما يقال (يوم أغر) و(يد غراء) وقوله (يقطرن) هو ما اعتاد الناس على التلفظ به من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا: (سيفه يقطر دما) (ولم يسمع "سيفه يجري دما).[1]

أما عن (قدامة بن جعفر) فقد نصر مذهب الغلو في قوله:" هو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما، بلغني عن بعضهم أنهم قالوا: "أحسن الشعر أكذبه" وكذا نرى الفلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم ".[2]

يقوم (إحسان عباس) (رأي "قدامة) أنه مناقض لمبدأ الصدق الذي دافع عنه (ابن طباطبا) و(الآمدي) وذلك لاعتماده على نقاد قدماء من العرب وعلى الفلاسفة اليونانيين، أما فيما يخص مسألة الغلو فيصرح قائلا:" إن الغلو عندي أجود المذهبين ".[3]

(فقدامة) في نظر (إحسان عباس) جعل (الكذب) مرادفا للغلو، أما عن (مُحَمَّد غنيمي هلال) فقد أنكر ذلك حين قال:" لا يستطيع فنان أداء رسالته إلا بالتزام الصدق الواقعي على حسب ما يراه هو أو يفكر فيه، كما يعتقده أو يشعر به، ثم بالتزام الصدق الفني بالتعبير عن حقيقة أصلية يرجع في تصويرها إلى ذات نفسه لا إلى ما حفظ من عبارات وسرق من جمل ".[4]

لقد أباح (قدامة بن جعفر) للشاعر استعمال المعاني رفيعة كانت أم وضيعة وحميدة كانت أم ذميمة، وحقا كانت أم كذبا، لأن المعاني هي مادة الشعر ويستشهد (قدامة) بما روي عن "الأصمعي" أنه سئل:"من أشعر الناس؟ فأجاب: من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبير أو إلى الكبير فيجعله بلفظه خسيسا، ثم يذكر أن قدماء اليونان قالوا: (أحسن الشعر أكذبه)،

1-ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 234.
2- المصدر نفسه، ص 235.
3- م، ن، ص، ن.
4- م، ن، ص، ن.

بل ويسند هذا القول أحيانا إلى أرسطو نفسه، وهو ما لا أساس له من الصحة...فالصدق الفني والواقعي دعامة الخلق، وبدونه لا يوجد فن يعتد به، وهذا رأي فلاسفة الفن جميعا، في كل عصر وكل مذهب ".[1] فالشاعر عنده مطالب بالإجادة، ينص (غنيمي هلال) أن النقاد القدامى ومن بينهم (قدامة بن جعفر) أنهم لم يوصوا بشيء يعتد به فيما تعلق بالصدق الفني الذي يعتبر أساس تقذم الفنون جميعا ومنها فنون العقول في مختلف العصور.[2]

أما (إحسان عباس) فيسأل:" أليس لهذا الغلو حد يقف عنده؟ أو بعبارة أخرى هل يبلغ الغلو مرحلة لا يكون فيها مقبولا؟ ".[3] وهذا لم يفت (قدامة) بل نبه إليه حين تحدث عن عيوب المعاني وسماه "إيقاع الممتنع فيما في حال ما يجوز وقوعه" ومثاله قول (أبي نواس):

يَا أَمِينَ اللَّهِ عِشْ أَبَدَا دُمْ عَلَى الأَيَّامِ وَالزَّمَنِ

تفطن (قدامة) إلى أن حكمه يقود إلى التعارض بسماحه للإفراط بل خروجا عن حد الممتنع الذي يجوز أن يقع (إلى حد الممتنع الذي لا يجوز أن يقع) لأن الغلو إنما هو تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه، وليس خارجا عن طباعه إلى ما يجوز أن له، لأن الذي يكون قلنا: إنه جائز مثل قول (النمر بن ثولب):

تَظَلُّ تَحْفُرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ بَعْدَ الذِّرَاعَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ وَالهَادِي

فليس خارجا عن طباع السيف أن يقطع الذراعين والساقين والهادي وأن يؤثر بعد ذلك.[4]

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص 236.

2-ينظر، المصدر نفسه ن ص .

3- م، ن، ص، ن.

4-ينظر، م ن، ص 237.

ويشير (إحسان عباس) إلى أن هذه القضية تتطلب توضيحا، فقد أقر (قدامة بن جعفر) أن الغلو يخرج عن باب الموجود، ويدخل إلى الباب المعدوم.[1] يقول عن مذهب (قدامة):" وإذن يكون هذا من الغلو الذي لا يمنعه قدامة وأمثال ذلك كثيرة، وواضح أن الوقوف عند حد الممتنع الذي لا يكون أبدا غير دقيق في التمييز بين أنواع الغلو "[2].فالعمل الأدبي لا يتقيد بالحقائق العقلية وذلك لما يقع فيه بعض الشعراء من التناقض يفصح عن إمكان تعدد الفكرة مع أن الحقيقة واحدة غير متعددة.وإلى جانب (إحسان عباس) نجد (طه أحمد إبراهيم) حين يؤكد أن تناقض الشاعر يدل على قوته في الصناعة واقتداره عليها فيقول:" ليس من فرق بين المراثي والمدائح إلا في الصناعة "[3].

(فطه أحمد إبراهيم) يعتبر ما جاء به (قدامة) مجرد صدى لثقافة لا تكاد تمت بصلة للتراث العربي فهي قواعد فلسفية محكمة في معاني التراث العربي ويذهب (مُحَمَّد مندور) إلى نفس الشيء ويتضح ذلك من قوله:" فهذه فلسفة استطالية ومزيج عن المنطق والأخلاق المعروفة عند المعلم الأول "[4].

وقوله:" لا ريب في أن الثقافة اليونانية كانت من أبرز المؤثرات في قدامة بن جعفر، فقد كان ممن يشار إليه في علم المنطق وعد من الفلاسفة الفضلاء "[5].

فقد دخل (قدامة) إلى حقل النقد الأدبي معتمدا على القاعدة العلمية الصارمة للنقد الحديث ذلك لمجموعة من الأسباب لخصها "طه أحمد إبراهيم" كالآتي:

أ-لكل علم قواعد عامة مطردة كقواعد النحو والهندسة.

ب-الذوق الفني عماد النقد، والذوق الأدبي يتفاوت بتفاوت الأفراد.

1- ينظر، بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 237

2 - المصدر نفسه ن ص.

3- م ن ص 239.

4- م ن ن ص.

5- م ن ص 240.

ثم يقوم "طه أحمد إبراهيم" إلى طرح بديل عن طرح (قدامة) فيقول:" النقد الأدبي لا يمكن أن يكون علما، وكل ما يمكن هو أن نستعين عليه أحيانا بطرق العلم في يسر ورفق وهوادة واناة".[1] وإذا بحثنا عن موقف (مُحَمَّد غنيمي هلال) من مذهب الغلو نجده يرفضه ويعتبره أسلوب العاجز في قوله:"إن المبالغة لا يكاد يستعملها إلا من عجز عن استكمال المألوف، فيلجأ إليها ليسد عجزه، والغاية العظمى منهم يرون أن المبالغ في الشيء إلى حد الغلو خير مذهب إذ يراد بذلك جعله مثالا لكي تثبت الصفة ويعتد بها ".[2] فهو يرى أن ما جاء به (قدامة) مجرد فهم خاطئ لما جاء به (أرسطو)، أما عن نوع الغلو الذي رفضه (مُحَمَّد غنيمي هلال) فهو في قوله:" ونعتقد أنه ليس من الصواب قبول المبالغة، وما يتصل بها على وجه الإطلاق، ولا رفضها كذلك، ولا تعميم القول بقبولها في حال الاعتدال والتوسط كما قالوه، بل الصواب أن نقبل هذه الوجوه وسواها على أساس الصدق فإذا لم تزيف الحقائق، ولم تصور غير الواقع، ولم ترهم الباطل كانت مقبولة بل قد تكون دعامة الصدق الفني لتصوير المعنى وإثارة الفكرة والخيال، وتوصيل أعمق الحقائق إلى العقل والقلب ".[3]

وفي نهاية الحديث تطرح الكاتبة سؤالا على النقاد المحدثين وهو: ما الذي قدمه قدامة بن جعفر للنقد؟.

(فطه أحمد إبراهيم) يؤكد أن (قدامة) لم يقدم للنقد العربي شيئا فعمله لا يعدو أن يكون عبارة عن رسوم لا طائل لها، أما عن "عباس" فيرى أن (قدامة) لم يغفل عن قصور محاولته، وإحساسه أن الشعر لا ينضبط بالقاعدة الصارمة الموجودة في كتابه.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 240.

2- المصدر نفسه ن ص.

3 - م ن ص 241.

فقد بدت له محاولة (قدامة) شكلية ونقده لا يمت للموضوعية وهذا في قوله:" فمحاولة قدامة ظلت شكلية عقيمة وهي لم تدخل يوما ما في تيار النقد العربي ".[1] ثم يؤكد أن "قدامة" لم يؤثر بكتابه هذا في النقد :" إن كتاب قدامة لم يؤثر لحسن الحظ تأثيرا كبيرا في النقد، وكل ما له من فضل هو وضع عدد من الاصطلاحات، وتحديد بعض الظواهر ومع هذا فالذين أخذوا بأقوال قدامة وتقاسيمه التعليمية الشكلية ليسوا النقاد كالآمدي والجرجاني وإنما علماء البلاغة في القرون الأتية ".[2]

لكن هذا الرأي من "مُحَمَّد مندور" غير مستمر وذلك يتضح من قوله:" هو استمرار لقدامة، بل بعث له، وذلك واضح في كتابه كله، واضح في منهجه التقريري، وفي غايته التعليمية، ولولا هذا الرجل لماتت مدرسة (نقد الشعر) موتا نهائيا وقد كان من سوء الطالع أن استطاع صاحب الصناعتين بما له من دراية بالأدب العربي، شعره ونثره أن يفصل آراء قدامة ويعززها بالأمثلة وأن يضيف إلى تقاسيم صاحب "النقد" وأمثاله تقاسيم جديدة ".[3]

ويذهب (إحسان عباس) عكس ما ذهب إليه (طه أحمد إبراهيم) و (مُحَمَّد مندور) فهو يناصر قدامة في قوله:" أراد أن يكون "معلم" النقد في تاريخ الأدب العربي كما كان أرسطو طاليس في تاريخ المنطق في كتاب الشعر ".[4] ويواصل دفاعه فيقول:" إنه يمثل اجتهادا ذاتيا مدهشا، وقد كان موضوع الرضا لدى أولئك الذين آمنوا بقيمة الفكر والثقافة الفلسفية ".[5] ومع هذا الإنصاف والتحامل لا يمكن إنكار تلك الميزة التي انفرد بها في نقده وهي منهجية محكمة سار عليها في نقد الشعر.

1- بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ص 242..

2-المصدر نفسه،ن ص.

3-م ن ، ص 243.

4- م، ن، ص، ن.

5- م، ن، ص، ن.

خاتمة :

لقد تم بعون الله وبحمده إكمال هذا العمل الموسوم بـــ : **دراسة في كتاب النقد الأدبي القديم في تقويم المحدثين**، ومن جملة ما توصلنا إليه في دراستنا لخصناه في بعض النقاط هي كالأتي :

1- يعد كتاب النقد الأدبي في تقويم النقاد المحدثين كتابا مهما جمعت فيه الكاتبة مختلف القضايا النقدية، ويعتبر معينا ثريا في النقد.

2- اختلاف النقاد المحدثين حول قضايا النقد العربي وإن كان الهدف واحدا هو تاريخ النقد العربي

3- اعتبرت المؤلفة قراءة النقاد المحدثين طه أحمد إبراهيم ومُحَّد مندور ومُحَّد غنيمي هلال قراءة تتعدى حدود التلقي المباشر كما أنها ساهمت في بناء نقد جديد متماسك، أما عن إحسان عباس فكانت قراءته استنتاجيه محايدة.

4- اتبعت المؤلفة الأعمال الأدبية من خلال إقرار النصوص ومؤلفات النقاد القدماء (الشعر والشعراء، طبقات الشعراء المحدثين، الموازنة بين الطائيين، الوساطة بين المتنبي وخصومه، عيار الشعر نقد الشعر).

5- استعمال المؤلفة للمنهج التاريخي من خلال التفصيل في الحديث عن شخصيات النقاد. القدماء(ابن قتيبة، ابن المعتز، الآمدي، الجرجاني، ابن طباطبا قدامة، ابن جعفر) والمنهج الوصفي من خلال وصف القضايا النقدية وعرضها، والتحليل في تقويم آراء النقاد المحدثين .

6- قيام بشرى عبد المجيد بالمقارنة بين نقدين مختلفين في الزمن والرؤى النقد القديم والنقد الحديث.

7-تأثر احمد أمين بالمناهج الغربية وحاول تطبيقها على أدبنا العربي.

8-اعتبر شوقي ضيف الذوق أساس النقد الصحيح حتى وإن اعتمدنا المناهج الحديثة.

قائمة المصادر و المراجع :

أ – المصادر :

1- بشرى عبد المجيد تاكفراست النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، مؤسسة آفاق للدراسات، مراكش طبعة 2، 2013

ب – المراجع :

1- ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، مطبعة بريل، مدينة ليدن المسيحية سنة 1902

2- الجاحظ البيان و التبين، ت درويش جويدي، المكتبة العصرية بيروت 2003 .

3- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري) دار الثقافة بيروت لبنان

4- أحمد أمين، النقد الأدبي، دار الكتاب العربي ط 4، 1967 بيروت .

5- أحمد جابر عصفور، مفهوم الشعر (دراسة في التراث النقدي) الهيئة المصرية العامة، ط 5، 1995.

6- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب (من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع) دار الحكمة ، بيروت لبنان، 2004

7- عثمان موافي، الخصومة بين القدماء و المحدثين في النقد العربي القديم (تاريخ و خصائصها)، دار المعرفة الجامعة، ط 2 إسكندرية 2000

8- قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، ت مُحَمَّد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

9- مُحَمَّد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر لطباعة و النشر و التوزيع القاهرة، د.ط سنة 1998.

10- مُحَمَّد عزام، المصطلح النقدي في التراث الأدبي دار الشروق العربي، لبنان 2010.

11- مُحَمَّد مندور، النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر ط 1، 2008.

12- مُحَمَّد مندور، النقد و النقاد المعاصرين، دار النهضة مصر 1981.

13- مُحَمَّد الشريدة، قضايا النقد الأدبي في القرن الثالث الهجري، دار الينابيع للنشر و التوزيع الأردن 2004.

14- مصطفى عبد الرحمان إبراهيم، النقد الأدبي القديم عند العرب، كلية الدراسات الإسلامية 1998.

15- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة ط 2

ج- رسائل جامعية :

16- عبد الله الكريم أحمد عبادي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستر من قسم الدراسات العليا العربية، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية بمكة المكرمة جامعة الملك عبد العزيز.

د- الموقع الالكتروني :

17- www.bouchra-takferast.com.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم إلى يوم الدين.

الحمد لله الذي جعل للإنسان الكلام فأنطق لسانه بسحر البيان.

يعلم المهتم بدراسة الأدب وجود مؤلفات اشتغلت على التراث النقدي القديم، فقد عرف النقد الأدبي تحولات جديدة جعلت من الخطاب النقدي موضوعا للدراسة والتحليل، وبالرغم من قدم هذه الممارسة النقدية إلا أن التنظيرات الحديثة دفعت به إلى الرقي درجة. تلك الكتب التي ألفها أصحابها مفندين بها كتب نقدية أخرى، ومن بين هذه مؤلفات كتاب في نقد النقد عنوانه (النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين) لصاحبته بشرى عبد المجيد تاكفراست، الذي أرادت من خلاله إبراز أراء النقاد المحدثين في قضايا النقد القديم وتقويمها نظرا لما وجد فيها من اختلاف، وعليه نطرح التساؤل الآتي :

كيف عرضت بشرى عبد المجيد قضايا النقد القديم؟ وما رأيها في اشتغال النقاد حديثا على المنجز النقدي العربي القديم؟ وما هي الفوارق التي رصدتها الكاتبة في تقويمها لعمل هؤلاء؟

ولانجاز هذا العمل اعتمدنا خطة بحث هذا بيانها:

مقدمة.

مدخل : في المدخل تناولنا السيرة الذاتية للباحثة المغربية بشرى عبد المجيد تاكفراست. ولاحظنا أنها تحوز سيرة علمية ثرية مكنتها من رسم اسم علمي لها في العالم العربي والدليل على ذلك دراستها الكثيرة في حقل النقد الأدبي.

الفصل الأول : تلخيص مضمون الكتاب والوقوف على أهم القضايا التي عالجتها بشرى تاكفراست (نشأة النقد العربي القديم، اللفظ والمعنى، القديم والمحدث، الموازنة بين الشاعرين، السرقات الشعرية، الوحدة العضوية للقصيدة العربية، ثنائية الصدق والكذب).

الفصل الثاني : ناقشنا فيه تقويم الباحثة لآراء النقاد المحدثين وبعض الآراء لنقاد لم توردهم في كتابها (أحمد أمين، شوقي ضيف).

خاتمة :استعرضنا فيها بعض النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا.

واتبعنا منهجا قوامه وصف المادة المعرفية المتاحة وفق قدراتنا في التحليل ومن أهم المراجع التي أعانتنا، كتاب أحمد أمين (النقد الأدبي) وكتاب جابر عصفور (مفهوم الشعر دراسة في التراث النقد)، شوقي ضيف (في النقد الأدبي) وكل طريق لا يخلو من صعوبات تعترض سبيل الطالب نذكر منها اتساع الموضوع و تشعبه، كما أن من الواجب علينا أن نتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ مُحَّد فايد على مجهوداته وتوجيهاته والذي أعاننا في مختلف مراحل البحث ونتمنى أن يكون بحثنا معينا للأجيال الناشئة و نأمل أن نكون قد وفقنا فيه بما يفيد كل من يتطلع إليه، وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

تيسمسيلت : 2019.06.12